جائزة الدكتور / حمدى طه
للأدب الإسلامى
٢٠١٨





من عظماء الأمة الإسلامية

الدكتور / عصام حويره



هذا الكتاب يعد إضافة حقيقية لفن التراجم والسير لبعض عظماء الأمة الإسلامية ؛ الذين سطروا بمواقفهم وبطولاتهم صفحات مجيدة فى تاريخ الحضارة الإسلامية

تحية من القلب للمؤلف الطبيب

الدكتور / عصام حويره على هذا الجهد الملموس .

الناقد / محمد برمو

دار الهـدى للمطبوعـات
٦ ش عمرو بن العاص - خلف ش جمال عبد الناصر
أرض المعلمين - ميامي
ت : ٥٥٧٤٧٧٢ - ٠١٠٠٧٥١٤١٢٦ - ٠١٢٨٠٦٢٨٢١٦

إهداء

إلي روح والدى وإلي والدتي متعها الله بالصحة والعافية،

إلي الإنسانة التى منحتني السعادة والحب، وضحت بكل غال من أجلي،

إلى أولادى الذى أتمنى أن يكونوا قادة عظماء مثل شخصيات الكتاب

إلي جميع أصدقائى الأوفياء الذين لولاهم لما حققت من النجاح شيء مذكورا

إدكو يوليه 2018

المقـــــــــــدمـــــــــــة:

كتاب عظماء الأمة الإسلامية هو نبذة بسيطة عن بعض عمالقة الأمة الإسلامية والذى كان لهم دور كبير فى تأسيس مجد وحضارة المسلمين ،وما دفعنى لكتابة هذا الكتاب هو المشاركة فى نشر الوعى بين أولادنا بأمجاد أجدادنا المسلمين وبعظمة الحضارة الإسلامية حتى يظهر فيهم من يقوم بإسترداد مجد المسلمين من جديد.

الحق ان هناك العديد والعديد من العظماء ولكن تم إختيار تسعة من هؤلاء العظماء فى الجزء الأول من هذه السلسلة، وحاولت كتابة نبذة من سيرتهم الذاتية ,وللأمانة كل عظيم من هؤلاء العظماء يحتاج لمجلدات لكتابة سيرته الذاتية ولكنى كتبت عناوين لأعمالهم العظيمة .

تم إختيارهم على أساس أنهم أشهر حكام وقادة للدول التى مرت بالحضارة الإسلامية من دولة أموية وعباسية وأيوبية وأندلسية ودولة المرابطين والدولة العثمانية، وهذه هى أشهر دول ساهمت فى إنتشار مجد الحضارة الإسلامية، والترتيب من الأقدم للأحدث حسب الفترة الزمنية لكل منهم.

فالشخصية الأولى وهو معاوية بن أبي سفيان إختلف عليها الكثيرون وطعن في عظمتها كثير من الناس وتعرضت لظلم بين ولا أبالغ إن قلت إنه أكثر شخصية تاريخية تعرضت للظلم،

والشخصية الثانية وهو حفيد معاوية بن أبي سفيان (عبد الرحمن الداخل) وهو موحد الأندلس والمؤسس الحقيقى لدولتها، والشخصية الثالثة وهو أحد أكثر الشخصيات التى تشوه تاريخها عمدا وهو أعظم خلفاء الدولة العباسية (هارون الرشيد)،والشخصية الرابعة وهو من أحفاد معاوية بن أبي سفيان أيضا (عبدالرحمن الناصر) أقوى حكام دولة الأندلس وعصره هو العصر الذهبي للأندلس ولأسبانيا الحاضرة ، والشخصية الخامسة الأمير المجاهد يوسف بن تاشفين والشخصية السادسة الناصر صلاح الدين الأيوبى والشخصيات السابعة والثامنة والتاسعة ملوك لأقوى الدول الإسلامية التى إستمرت ستة قرون وهى الدولة العثمانية وهم على الترتيب المؤسس عثمان الأول ،وفاتح القسطنطينية محمد الفاتح، وسليمان القانونى أقوى حكام الدولة العثمانية وعصره هو العصر الذهبي للدولة العثمانية.

لم يتم ذكر الخلفاء الراشدين الأربعة وخامسهم عمر بن عبد العزيز والصحابة العظام ، لأن كل منهم يحتاج إلى ألف مجلد لذكر نواحى عظمته ،ونتمنى من الله أن نبدأ فى إنجاز عمل خاص بهم يليق بعظمتهم، وكذلك هناك من العظماء سيتم ذكرهم لاحقا فى الأجزاء التالية .

وهؤلاء العظماء تجمعهم صفات مشتركة مثل حب الجهاد فى سبيل الله ونشر كلمته، الزهد ،العدل ،الورع والتقوى ،وإهتمامهم بالعلم والعلماء.

وملخص لحياتهم ما قاله الفاروق (ض) :نحن قوم أعزنا الله بالإسلام متى إبتغينا العزة فى غيره أزلنا الله

فلكي ننهض ونسترد مجد وحضارة الإسلام يجب العودة لروح الإسلام وتعاليمه السمحة وهذا مالا يرضاه أعداء الإسلام ولذا فهم فى حرب مع كل محاولة للنهضة الإسلامية وتشويه الرموز العظيمة.

1- معاوية بن أبى سفيان

❖ نســـبـــــه:

هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل عليه السلام.

وأمه :هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

يلتقي نسبه بنسب الرسول محمد في عبد مناف.

❖ نشـــــــأته:

ولد قبل البعثة بخمس سنين ،وقد تفرس فيه أبوه وأمه منذ الطفولة بمستقبل كبير ، فروي أن أبا سفيان نظر إليه وهو طفل فقال إن إبني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة وعن أبان بن عثمان قال كان معاوية يمشي وهو غلام مع أمه هند فعثر فقالت قم لا رفعك الله وأعرابي ينظر إليه فقال لم تقولين له فوالله إني لأظنه سيسود قومه فقالت لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه .

❖ أهـــــــله:

إخـــوتـه:

يـزيـد بن أبي سفيان،
عتبـة بن أبي سفيان،
عنبسة بن أبي سفيان.

الأخـــوات:

أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان،
وأم الحكم بنت أبي سفيان،
وعزة بنت أبي سفيان،
وأميمة بنت أبي سفيان.

أســـرته:

- تزوج ميسون بنت بحدل وأنجبت له يزيد .
- وفاختة بنت قرظة وأنجبت له عبد الله وعبد الرحمن.
- كنود بنت قرظة .
- ونائلة بنت عمارة الكلبية.

ومن بناته :

- رملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان .
- هند تزوجها عبد الله بن عامر.
- وعائشة وعاتكة وصفية .

❖ إســـلامـه:

أسلم رضى الله عنه في عام الحديبية قبل الفتح وبقي يخفي إسلامه خوفا من أبيه حتى عام الفتح عندما أمن به أبوه وأمه وأخوه يزيد.

صفاته الخلقية والخلقية:

❖ وصـــفـــه:

كان طويلا، أبيض، جميلا، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب.

❖ أخـــلاقـه:

- **الكرم :**

كان (ض) من أكرم الناس حتى أنه أعطى لعبدالله بن الزبير حديقة غناء لمجرد أن عبدالله إشتكى لسيدنا معاوية وهو أمير المؤمنين أن خدمه إعتدوا على أرض ابن الزبير فوهبه معاوية الحديقة بمن فيها من العبيد، كان كثير العطاء لرعيته وبالأخص الصحابة وأمهات المؤمنين والبدريين.

- **الحلم :**

قال ابن عمر عن حلم معاوية: (معاوية من أحلم الناس قالوا يا أبا عبد الرحمن وأبو بكر قال أبو بكر خير من معاوية ومعاوية من أحلم الناس

- **الزهد:**

روى الإمام أحمد عن علي بن أبي حملة عن أبيه قال: رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع.

عن يونس بن ميسر الحميري الزاهد قال: رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مُردِفٌ وراءه وصيفًا، وعليه قميص مرقوع الجَيب يسير في أسواق دمشق.

- **الدهاء السياسي:**

كان رحمة الله من أدهى وأذكى الناس ويضرب المثل (شعرة معاوية) لحنكته السياسية، فهو دائما لا يقطع العلاقات حتى مع ألد أعدائه

❖ قبل توليه الخلافة:

➢ أعماله في خلافة أبي بكر

تولى قيادة جيش إمداد لأخيه الصحابي يزيد بن أبي سفيان في خلافة أبي بكر ، وأمره أبو بكر بأن يلحق به فكان غازيا تحت إمرة أخيه، وقاتل المرتدين في معركة اليمامة، ومن بعد ذلك أرسله الخليفة أبو بكر مع أخيهِ يزيد لفتح الشام وكان معه يوم فتح صيدا وعرقة وجبل وبيروت وهم من سواحل الشام.

➢ ولاية الشام

تولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الأردن في الشام سنة 21هـ في عهد عمر بن الخطاب . وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من طاعون عمواس، ولاه عمر بن الخطاب ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد، ثم جمع له الخليفة عثمان بن عفان على ولاية الشام كلها، فكان من ولاة أمصارها.

الفتنة مع سيدنا علي وتوليه الخلافة:

لم يكن الإختلاف بين معاوية وسيدنا علي إختلاف على حكم زائل أو طمع في ملك ولكن أراد سيدنا معاوية الإنتقام من قتلة سيدنا عثمان بن عفان قبل مبايعته لسيدنا علي ،وأراد سيدنا علي وحدة الناس ليكون قادر على محاربة الخوارج، فاستغل المنافقين والخوارج الفتنة وأشعلوها، ثم استشهد سيدنا علي وتولى الحسن ابنه الخلافة الذى تنازل طوعا لمعاوية عن الخلافة عام 41 هـ

❖ أعماله:

سياسته الداخلية

➢ **إنشاء الدواوين المركزية**

- **ديوان الرسائل: هو الهيئة المشرفة على تحرير رسائل الخليفة وأوامره وعهوده .**
- **ديوان الخاتم: أنشأ معاوية ديوان الخاتم لتحقيق السرية والأمان لمراسلات الدولة**
- **ديوان البريد: حيث أدخل نظام البريد إلى الدولة الإسلامية في دمشق**
- **نظام الكتبة: حيث عين كاتب لديوان الرسائل، وكاتب لديوان الخراج، وثالث لديوان الجند، ورابع لديوان الشرطة وخامس لديوان القضاء .**

➢ **توطين الأمن في خلافته:**

- **الحاجب : حيث كان أول من اتخذ الحاجب في الإسلام، لكي يتجنب محاولات الاعتداء عليه**
- **الحرس : وهو أيضا أول من اتخذ الحرس في الدولة الإسلامية، خوفا من الخوارج الذين يريدون قتله**
- **الشرطة : وظيفتها المحافظة على الأمن والنظام**
- **حسن اختيار الرجال والأعوان**
- **استخدام المال في تأكيد الولاء.**

- اتباع سياسة الشدة واللين .
- جهاز المخابرات : كانت الأجهزة الداخلية والخارجية في عهد معاوية قوية جدا، وما يدل على قوتها اطلاعه على المراسلات التي بين الحسين وأهل العراق و قصة الأسير المسلم عند البيزنطين، الذي لطم على وجهه بين يدي ملك الروم وقول الأسير :وا إسلاماه أين أنت يا معاوية، ووصل الخبر عند معاوية

الاهتمام ببناء الجيش الإسلامي:

إهتم معاوية ببناء جيش قوى منظم وسلحه بأحدث الأسلحة وكان يغدق على الجنود بالأموال ويكفى حاجتهم وإهتم بتدريبه ،

وقد أنشأ معاوية أول أسطول حربي في تاريخ الإسلام ومن أجل بناء أسطول إسلامي بحري قوي، أقام معاوية دارا لصناعة السفن البحرية في مدن ساحل الشام وفي جزيرة الروضة ،

❖ الفتوحات الإسلامية في عهده:

بعد قيام الدولة الاموية وعاصمتها دمشق وتولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة وتقوية الدولة الإسلامية استأنف الفتوحات الإسلامية ، في عهد معاوية بن أبي سفيان اتسعت رقعة بلاد المسلمين جهة بلاد الروم، وبلاد السند ، وكابل ، والأهواز ، وبلاد ما وراء النهر، وشمال أفريقيا ، حتى وصلت إلى أكبر اتساع لدولة في تاريخ الإسلام الدولة الاموية وفتح به جزيرة قبرص وصقلية ومناطق وجزر في البحر الأبيض المتوسط .

استطاع معاوية أن يضيق الخناق على الدولة البيزنطية من حدود دولته بالحملات المستمرة والاستيلاء على جزر رودس وأرواد ، وقد كان لجزيرة ارواد على الساحل الشامي في سوريا أهمية خاصة لقربها من القسطنطينية، حيث اتخذ منها الأسطول الإسلامي في حصاره الثاني للمدينة أو حرب السنين السبع 54 ـ 60 هـ قاعدة لعملياته الحربية، وذلك أن معاوية أعد أسطولا ضخما وأرسله ثانية لحصار القسطنطينية، وظل مرابطا أمام أسوارها من سنة 54 هـ إلى سنة 60 هـ، وكانت هذه الأساطيل تنقل الجنود من هذه الجزيرة ارواد إلى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية، وقد أرهق هذا الحصار البري والبحري والبيزنطيين كما أنزل جيش المسلمين بالروم خسائر فادحة، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع المسلمون فتح القسطنطينية .

كما نفذ معاوية خطة لنقل أعداد من العرب المسلمين إلى الجزر في البحر الأبيض المتوسط لحمايتها ونشر الإسلام على ربوعها. فتم نزول المسلمين بصقلية عام 48هـ، واستطاع فضالة بن عبيد الأنصاري فتح جزيرة (جربا) عام 49هـ وقد سار إليها على رأس شاتية في ذلك العام .

❖ وفـــــاته:

توفي في دمشق عن 78 سنة بعدما عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت وفاته في رجب سنة 60هـ كان خلالها واليا ل 20 عام وخليفة ل 20 عام أخرى.

وكان يقول في آخر عمره: ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى، ولم أر من هذا الأمر شيئا. وكان عنده إزار رسول الله ﷺ ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره فقال: كفنوني في قميصه، وأدرجوني في ردائه، وأزروني بإزاره، واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود من شعره وأظفاره، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين

❖ عظـــــمته:

فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه ، وسعة نفسه وقوة دهائه ،

ورأيه وله هنات وأمور ، والله الموعد . وكان محببا على رعيته ، عمل نيابة الشام عشرين سنة والخلافة عشرين سنة ولم يهجه أحد في دولته ، بل دانت له الأمم وحكم على العرب والعجم ، وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك.



❖ المراجـــــع:

1. سير أعلام النبلاء- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
2. تاريخ دمشق، ابن عساكر
3. البداية والنهاية- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير

2- عبد الرحـــمن الداخــــل
صـــــقر قـــريـــش

❖ نســـــبــــــه:

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. كنيته: أبو المطرف وقيل أبا زيد وقيل أبا سليمان،
وكانت أمه سبية بربرية من قبيلة نفزة اسمها راح أو رداح.

❖ نشـــــأته:

ولد سنة 113 هـ (731 م) في خلافة جده هشام بن عبد الملك في بلاد الشام عند قرية تعرف بدير حنا، وقيل ولد بالعليا من أعمال تدمر. توفي أبوه شابا عام 118 هـ في خلافة أبيه هشام بن عبد الملك، فنشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي بدمشق حيث كفله وإخوته جده هشام. وكان جده يؤثره على بقية إخوته ويتعهده بالصلات والعطايا في كل شهر حتى وفاته.

ويروى أن عم أبيه الفارس مسلمة بن عبد الملك والذى كان له باع طويل في علم الحدثان قد وصلته نبوءة تقول بأن عدوا سيأتي من الشرق ويقضي على الحكم الأموي، إلا أن فتى أمويا سوف يتمكن من إقامته من جديد في بلاد الأندلس، وعندما نظر مسلمة إلى عبد الرحمن لأول مرة في رصافة هشام بعد وفاة أبيه رأى في وجهه العلامات التي تدل على أنه الأموي المقصود.

❖ صفاته الخلقية والخُلقية:

وصـــــفه:

كان أصهب، خفيف العارضين، بوجهه خال، طويل القامة، نحيف الجسم، له ضفيرتين، أعور، أخشم.

شخـــصيته:

- الطموح: بعد انهيار دولته لم ييأس وغامر ولم يمتلك لا جيش ولا مال ولا عصبة ورغم ذلك حلم بدولة وتحقق له ذلك في النهاية
- الذكاء: واسع الدهاء تخلص من أعدائه ليس بالحرب فقط بل بالحيلة والدهاء، كما كان لين الجانب مع النصارى، يسير معهم بسياسة الاعتدال والمهادنة، فجعل لهم رئيسا يسمى "القمص". يقيم إلى جواره في قرطبة ويستشيره في كثير من الأمور وبذلك كسب أهالي الأندلس
- التواضع: كان من عاداته، أن يأكل معه من أصحابه من أدرك وقت طعامه، ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه، كان يقعد للعامة ويستمع منهم، وينظر بنفسه فيما بينهم.
- الحزم : لم يتوانى عن قتل أعدائه حتى أقرب الناس له من أجل توحيد الأندلس
- الشجاعة: تمكن بحملاته المتوالية من القضاء على المتمردين سواء من العرب أو البربر
- إجتماعيا: كان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويصلي بالناس في الجمعة والأعياد، ويخطب بنفسه
- شاعرا : كان عبد الرحمن أيضًا شاعرا مجيدا

صقـــر قـــريش :

جلس أبو جعفر المنصور يومًا في أصحابه، فسألهم: «أتدرون من هو صقر قريش؟»، فقالوا له: «أمير المؤمنين الذي راض الملك، وسكّن الزلازل، وحسم الأدواء، وأباد الأعداء». قال: «ما صنعتم شيئًا»، قالوا: «فمعاوية»، قال: «ولا هذا»، قالوا: «فعبد الملك بن مروان»، قال: «لا». قالوا: «فمن يا أمير المؤمنين»، قال: «عبد الرحمن بن معاوية الذي تخلص بكيده عن سنن الأسنة، وظبات السيوف. يعبر القفر، ويركب البحر، حتى دخل بلدًا أعجميًا. فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، وأقام ملكًا بعد انقطاعه بحسن تدبيره، وشدة عزمه. إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان، وذللا له صعبه. وعبد الملك ببيعة تقدمت له. وأمير المؤمنين بطلب عترته، واجتماع شيعته. وعبد الرحمن منفردا بنفسه، مؤيدً برأيه، مستصحبًا عزمه.

❖ هجرته للأندلس:

- **هروبه من العباسيين:**

وعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، هدفوا إلى تعقب الأمويين والقضاء عليهم خشية أن يحاولوا استرداد ملكهم، فقتلوا بعضهم مما جعل الباقين منهم يستترون. حينئذ، أظهر العباسيون الندم على ما كان منهم، وأشاعوا أنهم أمنوا من بقي من الأمويين حتى اجتمع منهم بضع وسبعون رجلا منهم أخ لعبد الرحمن يدعى يحيى، فأفنوهم. وحين بلغ عبد الرحمن بن معاوية ذلك، هرب من منزله بدير حنا من أعمال قنسرين (حلب بسوريا)، وأوصى بأن يتبع بولده سليمان وأختيه أم الأصبغ وأمة الرحمن. حتى بلغ قرية على الفرات، اختبأ بها. وذات يوم، اشتكى فيه عبد الرحمن الرمد، فلزم ظلمة داره، وإذا بابنه سليمان وهو ابن أربع سنين يدخل عليه فزعا باكيا، فتوجس عبد الرحمن وإذا برايات العباسيين في القرية، ودخل عليه أخ له صغير يخبره الخبر. فعمد عبد الرحمن إلى دنانير تناولها، ثم أعلم أختيه بمتوجهه، وفر هو وأخوه. بعدئذ، وشى به عبد من عبيده، تعقبته فرسان العباسيين، فلم يجدا أمامهما مهربا إلا عبور النهر. وإذ هما في منتصف النهر، أغرتهما الشرطة أن يرجعا ولهما الأمان، فرجع أخوه خشية الغرق، وغرر به وقتله العباسيون، وكان عمر أخيه ثلاث عشرة سنة، بينما نجح عبد الرحمن بالوصول إلى الضفة الأخرى. ثم ألحقت به أخته أم الأصبغ و مولاه بدر ومولاها سالما بمال وشيء من الجواهر، فتوجه عبد الرحمن بالموليين صوب إفريقية.

- **فراره إلى المغرب:**

استغل عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي إفريقية سقوط الدولة الأموية ليستقل بحكم إفريقية. خشي الفهري ظهور الأمويين الفارين من المشرق على ولايته، فتتبعهم بالقتل، فقتل منهم ابنين للوليد بن يزيد. لذا، ظل عبد الرحمن يتنقل من مكان إلى مكان مدة خمس سنين، بدءا من نزوله على أخواله بني نفزة، وهم من بربر طرابلس، ثم نزل على مكناسة وقيل مغيلة، حيث آواه أبو قرة وانسوس المغيلي، لحمايته من متعقبيه. ثم منها إلى قوم من زناتة منازلهم قرب البحر في سبتة.

وفي عام 136 هـ، أرسل مولاه بدرا إلى موالي بني أمية في الأندلس يطلب عضدهم والتمهيد لدخوله الأندلس. فعرض بدر رسالة عبد الرحمن على أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وأبي الحجاج يوسف بن بخت زعماء موالي بني أمية في الأندلس، فأجابوه. وعرضوا الأمر على الصميل بن حاتم وكان من زعماء المضرية، غير أن الصميل خشي على نفوذه من مجيء عبد الرحمن، فاستقر على ألا يجيبه. كان الأندلس حينئذ يغلي بسبب النزاعات المتواصلة بين القبائل المضرية واليمانية، فوافقت دعوة عبد الرحمن رغبة اليمانية المدفوعين بالرغبة في الثأر لهزيمتهم أمام الفهرية والقيسية في موقعة شقندة، فاحتشدوا لنصرة لعبد الرحمن. ثم أرسل زعماء الموالي مركبا تعبر به إلى الأندلس، فوصل إلى ثغر المنكب في ربيع الثاني سنة 138 هـ

- **دخوله الأندلس:**

بعد أن دخل عبد الرحمن الأندلس أتاه أبو عثمان وعبد الله بن خالد، وسارا به إلى حصن طرش منزل أبي عثمان التي أصبحت مركزا لتجمع أنصاره. بلغ الخبر يوسف الفهري بوصول عبد الرحمن وتجمع الناس حوله، وعدم قدرة عامله على إلبيرة على تفريقهم. فنصح الصميل يوسف بوجوب التوجه فورا لملاقاة عبد الرحمن، فجمع يوسف جيشه. علم عبد الرحمن بمسير جيش يوسف، فتحرك بجيشه وأخضع كافة المدن في طريقه حتى إشبيلية التي استولى عليها وبايعه أهلها، فتجمع له ثلاثة آلاف مقاتل. ثم حاول مباغتة يوسف الفهري، ومهاجمة قرطبة ليستولي عليها، والتقيا في موضع يبعد عن قرطبة نحو 45 ميلا لا يفصلهما إلا النهر. حاول يوسف أن يغري عبد الرحمن لينصرف بجنده، بأن وعده بالمال وبأن يزوجه من إحدى بناته. إلا أن عبد الرحمن رفض، وأسر خالد بن يزيد أحد رسل يوسف، لإغلاظه له القول. وفي الليل، حاول عبد الرحمن أن يسبق بجنده جيش يوسف خلسة إلى قرطبة. علم بذلك يوسف فسار الجيشان بمحاذاة النهر صوب قرطبة، إلى أن انحسر الماء عند المصارة يوم الأضحى العاشر من ذي الحجة لعام 138 هـ، فعبر جيش عبد الرحمن ودارت المعركة التي انتهت بنصر عبد الرحمن. خلال المعركة أشيع بين الجنود أن عبد الرحمن يركب جوادا سريعا للفرار به وقت الهزيمة. فلما بلغ عبد الرحمن هذا الكلام ترك فرسه في الحال وقال: "إن فرسي قلق لا يتمكن معه الرمي!"، ثم ركب بغلا ضعيفا كي يقنع جنوده بأنه لن يولي ظهره للأعداء. بعد انتصاره، دخل عبد الرحمن إلى قرطبة، وأدى الصلاة في مسجدها الجامع حيث بايعه أهلها على الطاعة.

❖ توطيد الإمارة:

بعد هزيمة يوسف الفهري والصميل وفرارهما من موقعة المصارة، توجه يوسف إلى طليطلة وحشد منها ما استطاع من أنصاره بمساعدة عامله عليها هشام بن عروة الفهري، وتوجه الصميل إلى جيان وجمع فيها أنصاره ومؤيديه. ثم اجتمعت القوتان وتوجهتا إلى إلبيرة. وكانت خطتهما أن يجذبا عبد الرحمن من قرطبة إلى جيان لقتالهما، ثم يذهب عبد الرحمن بن يوسف الفهري ليحتل قصر الإمارة في قرطبة. وبالفعل عندما علم عبد الرحمن الداخل باجتماعهما توجه إليهما سنة 139 هـ. بعد أن ترك قوة صغيرة لحماية قرطبة بقيادة أبي عثمان. لكنه ما أن ابتعد قليلا حتى هاجم عبد الرحمن بن يوسف الفهري قرطبة واحتل قصر الإمارة، وأسر أبا عثمان وكبله بالأغلال. وعندما علم عبد الرحمن الداخل بما حل بقرطبة عاد مسرعا إلى قرطبة، ففر ابن يوسف الفهري إلى أبيه في إلبيرة ومعه أبو عثمان. عندئذ، غادر عبد الرحمن الداخل قرطبة، وتوجه إلى الصميل ويوسف في إلبيرة وحاصرهما، فطلبا الصلح على أن يعترفا بإمارته، ولا ينازعاه فيها، وأن يؤمنهما على النفس والمال والأهل، وأن يؤمن حلفاءهما وأعوانهما ويسمح لهما بسكنى قرطبة تحت

رعايته ورقابته. وقد قبل عبد الرحمن على أن يقدم يوسف ولديه عبد الرحمن وأبي الأسود محمد رهينتين عنده يعتقلهما في قصر قرطبة كضمان للوفاء بعهده، وأن يفرج عبد الرحمن الداخل عن خالد بن زيد أحد قادة يوسف الفهري في مقابل أن يفرج يوسف عن أبي عثمان. وتم الصلح بين الفريقين عام 140 هـ وقفل يوسف والصميل مع عبد الرحمن الداخل إلى قرطبة وانفض جندهما، ونزل يوسف بشرقي قرطبة في قصر الحر الثقفي، ونزل الصميل بداره بالربض وعمل عبد الرحمن على إكرامهما وتقدير مكانتهما.

ولم يمض عام حتى حاول أنصار يوسف السابقين حمله على الثورة على عبد الرحمن، فكاتب يوسف أهل ماردة ولقنت، فأجابوه وكتبوا إليه، فهرب إليهم سنة 141 هـ ولما علم عبد الرحمن بهربه أتبعه الخيل وقبض على ابنه واعتقل الصميل تحسبًا لأي خطر قد يشارك فيه هذا الأخير. تقدم يوسف نحو إشبيلية وحاصرها وكان واليها عبد الملك بن عمر المرواني الذي طلب من ابنه والي مورور نجدته. ففك يوسف الحصار ليتوجه إلى عبد الرحمن الداخل. لكن عبد الملك وابنه زحفا خلف يوسف الذي رأى التخلص منهما أولا، ودارت بينهما معركة انهزم فيها يوسف وتفرق من معه. وفر يوسف إلى طليطلة ليحتمي بها عند واليها هشام بن عروة الفهري، فأدركه عبد الله بن عمر الأنصاري قبل طليطلة بأربعة أميال فقتله وبعث برأسه إلى عبد الرحمن الداخل. ثم أمر عبد الرحمن الداخل بقتل عبد الرحمن بن يوسف المعتقل لديه، كما خنق الصميل في سجنه، وقتل جميع أنصار يوسف الفهري.

الثـــــــورات:

وفي أواخر عام 143 هـ، ثار القاسم بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري وحليف أبيه رزق بن النعمان الغساني في الجزيرة الخضراء على الأمير عبد الرحمن، الذي وجه إليهما من هزمهما، وفر القاسم وقتل الغساني. ثم ثار هشام بن عروة الفهري صاحب طليطلة، فسار إليه عبد الرحمن وشدد عليه الحصار حتى اضطر إلى طلب الصلح مقابل أخذ ابنه كرهينة عند عبد الرحمن. فقبل عبد الرحمن ذلك. ثم عاد هشام إلى نقض العهد فغزاه عبد الرحمن الداخل في العام التالي، وشدد الحصار عليه ودعاه إلى الرجوع فلم يستجب له. فلما يئس الأمير منه أمر بضرب عنق ابن هشام، وقذف الرأس بالمنجنيق في المدينة، ثم تركه لانشغاله بثورة العلاء بن مغيث اليحصبي الذي ثار عام 146 هـ في باجة بعد أن راسل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي كان يطمع في استعادة الأندلس، واستطاع أن يجمع حوله الناس والجند من أنصار الدولة العباسية، فاستولى على شذونة. فأرسل له الداخل جيشا بقيادة مولاه بدر، فسيطر على المدينة، فتحرك العلاء بجيشه إلى إشبيلية ودخلها. فخرج عبد الرحمن من قرطبة في جميع قواته إلى قرمونة وتحصن بها ومعه ثقات مواليه وخاصته، فسار إليه العلاء وحاصره بها مدة شهرين، عندئذ خرج عبد الرحمن في 700 من رجاله ليرد الهجوم بعد أن خارت قوى جيش العلاء، فهزمهم وقتل العلاء. أمر عبد الرحمن بحز رأس العلاء ورؤوس أشراف أصحابه، ووضعت فيها صكوك بأسمائهم وحملوا بعضهم إلى أسواق القيروان ليلا، والبعض الآخر وفيهم رأس العلاء إلى مكة مع بعض التجار الثقات ومعه الرسالة واللواء الذي أرسله المنصور إلى العلاء فوضعوه أمام سرادق المنصور الذي كان يحج ذلك العام. فلما رأى المنصور رأس العلاء انزعج وقال: «الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحرًا».

ثم بعث عبد الرحمن مولاه بدر وتمام بن علقمة عام 147 هـ في جيش كثيف إلى طليطلة، فحاصرا هشام بن عروة الفهري حصارًا شديدًا، ومنعا الطعام عن أهل طليطلة، حتى ضج أهل المدينة من الحصار واستثقلوا الحرب، وكاتبوا تمام وبدر وسألوهما الأمان مقابل تسليم ابن عروة وبعض قادته لهما، فقبلا ذلك وحملوهم إلى قرطبة، فحلقت رؤوسهم ولحاهم وألبسوا جببًا صوفية وحملوا على الحُمر، ودخلوا قرطبة على تلك الحال حيث أمر عبد الرحمن بقتلهم، ليعلن بذلك نهاية تمرد ابن عروة الفهري.

وفي عام 149 هـ، ثار على الداخل سعيد اليحصبي في لبلة، وسار إليه عبد الرحمن بنفسه وأخمد ثورته. ومن بعده في نفس العام، ثار أبي الصباح اليحصبي الذي نقم من عبد الرحمن أن عزله عن ولاية إشبيلية، وهو الذي كان له عونا وجمع له اليمانية يوم المصارة. لجأ الداخل معه إلى الحيلة، فبعث إليه عبد الله بن خالد يؤمنه. فلما دخلا قرطبة، أمر عبد الرحمن بقتل أبي الصباح. منذئذ، لزم عبد الله بن خالد داره حتى مات لمرارة في نفسه من خداع عبد الرحمن له واستعماله في استدراج أبي الصباح.

وفي عام 153 هـ، ثار البربر بزعامة رجل يقال له شقيا بن عبد الواحد المكناسي كان معلمًا للصبيان، ثم ادعى بأنه فاطمي، فقتل عامل الأمير على ماردة ثم استولى على قورية. فسار إليه عبد الرحمن، ففر منه الفاطمي إلى الجبال ولم يتمكن منه لسنوات، إلى أن انكشف أمره لأصحابه فقتلوه. عندئذ، جاءته رسل مولاه بدر بثورة اليمانية بقيادة عبد الغافر اليحصبي وحيوة بن ملامس الحضرمي. فسير إليهم الداخل جيشا هزمهم، وقتل حيوة، وفر عبد الغافر عبر البحر. تلا ذلك محاولة ابن أخيه عبيد الله بن أبان بن معاوية وبعض معاونيه الانقلاب عليه في قرطبة وهو متنزه خارجها، فراسله مولاه بدر بالخبر. تمكن بدر من القبض عليهم، وأمر عبد الرحمن بضرب أعناقهم. ثم وجه الداخل عام 160 هـ قوة بقيادة تمام بن علقمة وأبي عثمان لقتال الفاطمي، واقتتلا وهزمهما الفاطمي، إلا أن رجلين من أصحابه تآمرا عليه وقتلاه بعد ذلك، لتنتهي ثورته.

في عام 161 هـ، نزل عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي بجيشه ساحل تدمير، فسارع الداخل بمهاجمة ابن حبيب، فاستغاث ابن حبيب بوالي برشلونة سليمان الأعرابي، ولكن هذا الأخير لم ينجده. وبذلك استطاع عبد الرحمن أن يهزم ابن حبيب ويحرق سفنه عند ساحل تدمير. ففر الصقلبي إلى كورة بلنسية، حيث اغتاله رجل من البربر طمعا في عطية من الداخل.
وفي عام 164 هـ، ثار عليه الماحس بن عبد العزيز الكناني والي الجزيرة، فسار إليه عبد الرحمن بنفسه. فلما اقترب جيش عبد الرحمن، آثر الماحس الهرب، ففر بأهله عبر البحر ولجأ إلى أبي جعفر المنصور. وفي عام 168 هـ، بلغ عبد الرحمن الداخل بعد ذلك ائتمار ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية وهذيل بن الصميل بن حاتم به ليخلعوه، فأمر بهم فاعتقلوا، ثم قتلهما، وسخط بسبب ذلك على أخيه الوليد بن معاوية فنفاه هو وبنيه إلى المغرب. ثم ثار عليه أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري عام 169 هـ في قسطلونة، فخرج إليه الداخل وقاتله وهزمه، وقتل أربعة آلاف من أصحاب أبي الأسود الذي فر يومئذ. وفي عام 170 هـ، خرج الداخل لإخماد ثورة بربر نفزة، وهي آخر غزواته.

غزو شارلمان لشرق الأندلس:

ثار سليمان الأعرابي حاكم برشلونة ومعه الحسين بن يحيى الأنصاري زعيم سرقسطة على الداخل، فأرسل جيشا بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي، فهزموا جيش الداخل وأسروا ثعلبة، وأرسلوا إلى شارلمان ملك الفرنجة المعروف في المراجع العربية باسم **قارلة**، يدعوه للتحالف معهم. فعبر بجيشه جبال البرانس، وأغار على البشكنس في بنبلونة. ثم أنه طمع في سرقسطة، فسار إليها، فاستقبله الأعرابي، إلا أن الحسين بن يحيى وأهل المدينة أبو إلا أن يقاوموه، ولم يسلموا له. حاصر شارلمان المدينة، لكنه لم يقدر على فتحها، فرجع إلى بلده وأخذ الأعرابي معه أسيرا لأنه ورطه في ذلك الأمر. وفي طريق عودته، دبر ابنا سليمان وحلفاؤهم من البشكنس كمينا دمروا به مؤخرة جيش شارلمان في معركة باب الشرزي، واستطاعوا تحرير الأعرابي والفرار به، إلا أن الحسين بن يحيى ما لبث أن ترصد للأعرابي وقتله بعد ذلك بفترة قصيرة.
ثم سار الداخل بجيشه إلى سرقسطة عام 165 هـ، فحاصرها وشدد عليها الحصار، فضاق أهلها من الحصار. ففاوض الحسين بن يحيى، وهو يومئذ قائدهم، عبد الرحمن الداخل فك الحصار وأن يأخذ ابنه سعيد رهنا. فقبل الداخل، إلا أن سعيد هرب بعد يوم واحد فقط. فعاد الحسين إلى الثورة، فحاصره جيش الداخل مجددا، إلى أن مل أهل سرقسطة الحصار، وسلموا الحسين إلى الداخل فقتله، وقفل راجعا إلى قرطبة.

❖ أعماله:

اتبع عبد الرحمن الداخل سنة أسلافه من الأمويين في نظام الحكم، فاتخذ حجابا، ولم يتخذ وزراء. واحتفظ دوما بمجموعة من المستشارين، أغلبهم ممن استقبلوه وناصروه في بداية عهده وقاتلوا معه. وقد اهتم بجيشه الذي كان الدعامة التي ساعدته على السيطرة على مقاليد الأمر طوال حكمه، فبلغ جيش عبد الرحمن الداخل مائة ألف جندي من المتطوعين والمرتزقة، لاسترابته من العرب بسبب نزعاتهم المستمرة للثورة. إضافة إلى حرسه الخاص الذي بلغ أربعين ألفا من الموالي والبربر والرقيق. كما أنشأ في أواخر عهده عددا من قواعد بناء السفن في طركونة وطرطوشة وقرطاجنة وإشبيلية.
بنى عبد الرحمن قصر الرصافة في أول حكمه، وسماه كرصافة جده هشام بن عبد الملك الذي بناه في الشام، وأحاطه بالحدائق الزاهرة التي جلب لها الغروس والزروع والنوى التي لم تكن من قبل في الأندلس من الشام وإفريقية. وفي عام 150 هـ، أقام سور قرطبة الكبير، الذي حصن به قرطبة، واستمر العمل به لأعوام. وفي عام 170 هـ، أسس الأمير عبد الرحمن المسجد الجامع في قرطبة، وأنفق على بنائه 100 ألف دينار وقيل 80 ألف دينار. وكان المسلمون حين افتتحوا قرطبة، قد شاطروا أهلها كنيستهم العظمى، فابتنوا فيها مسجدا. ولما كثرت عمارة قرطبة، ضاق المسجد على مرتاديه، فابتاع الداخل الشطر الثاني من النصارى بمائة ألف دينار، فأسس عليها الجامع، وتمت أسواره في عام، وأمر ببنائه على طراز المسجد الأموي بدمشق. وقد بلغت مساجد قرطبة في عهده 490 مسجدا. كما أنشأ دارا لسك العملة، تضرب فيها النقود بحسب ما كانت تضرب في دمشق في عهد بني أمية وزنا ونقشا.
لم تحدث عبد الرحمن الداخل نفسه بالخلافة، حيث كان يرى بأنه لا يستحقها إلا من ملك الحرمين، ولم يقطع الخطبة للخليفة العباسي حتى عام 139 هـ، بعد عشرة أشهر من حكمه، بعد أن أشار عليه قادته بقطعها، بل ألح بعضهم على ذلك، حتى أن عبد الملك بن عمر المرواني هدده بقتل نفسه إن لم يقطعها. أما فيما يتعلق بعلاقاته الخارجية، فبعد أن فشلت حملة شارلمان على شرق الأندلس، وهزيمة جيشه في معركة باب الشرزي، دعاه عبد الرحمن الداخل إلى السلم والمصاهرة، لتوطيد العلاقة بين الدولتين، فأجابه شارلمان إلى السلم، ولم يجبه إلى المصاهرة.

❖ وفاته:

توفي عبد الرحمن الداخل في 24 ربيع الآخر عام 172 هـ، وترك من الولد أحد عشر ولدا منهم سليمان وهو أكبر ولده، وهشام والمنذر ويحيى وسعيد وعبد الله وكليب، ومن البنات تسع. وقد دفن في قصر قرطبة بعد أن صلى عليه ولده عبد الله. وخلفه من بعده ولده هشام الملقب بهشام الرضا بعهد من والده، رغم أن أخاه سليمان كان أسن منه.

❖ المراجـــــــــع:

- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (1989). تاريخ افتتاح الأندلس. دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت .
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (1980). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. دار الثقافة، بيروت.
- ابن حزم، علي (1982). جمهرة أنساب العرب. دار المعارف، القاهرة
- زيتون، محمد محمد (1990). المسلمون في المغرب والأندلس.
- نعنعي، عبد المجيد (1986). تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي. دار النهضة العربية، بيروت.
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون (2000). تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. دار الكتاب الجديد المتحدة.

3- هــــارون الرشـــــيد

نســـبـــــــه وميلاده :

هارون بن محمد المهدى بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم،
أمه الخيزران بنت عطاء وهى أم ولد من اليمن اشتراها والده وأعتقها وتزوجها ،وأنجبت الخليفة الهادى وهارون الرشيد وكانت تمتلك مواهب قيادية ولها حكمة بالغة وذكاء فطرى ولذا قربها المهدى منه .
ولد في مدينة الري التابعة لطهران محافظة ايران الأن عام 149هـ (766) وتوفي في مدينة طوس(مشهد الرضا) إحدى مدن خراسان وهى مدينة الإمام أبى حامد الغزالى عام 193هـ(809)

نشـــأتـــــه:

تربى الرشيد مع أولاد الأمراء والقادة في الدولة العباسية ومع إخوته بالرضاعة الفضل وجعفر أولاد يحيى البرمكي الذي صار له مكانة عظمى بالدولة العباسية،
وفي عام 151هـ وبعد وفاة جعفر الابن الأكبر للخليفة أبو جعفر المنصور عادت أسر المهدي إلى بغداد، وقد أصبح المهدي وليا للعهد. وعاش الرشيد طفولة هادئة ومستقرة في ظل رعاية والده وجده، وكان ممن تولى تربيته وتعليمه عالم النحو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي المعروف (الكسائي)، الذي ظل معه حتى وفاته ثم صار أيضا معلما لإبن الرشيد محمد الأمين .كما تولى تربيته وتعليمه أيضا المعلم المفضل الضبي الذي صنف للمهدي كتاب المفضليات
في عام 158هـ توفي أبو جعفر المنصور وأصبح المهدي في منصب الخلافة ودفع بابنه هارون للتدرب على الفروسية والرمي وفنون القتال،
وقال محمد بن علي الخراساني: "الرشيد أول خليفة لعب بالصوالجة والكرة، ورمى النشاب في البرجاس، وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس،

أســــــــرتــــه :

- زوجــــاتــــه:

زبيدة بنت جعفر وهي ابنة عمه. ورغم أن الرشيد قد تزوج أكثر من امرأة إلا أن زبيدة كانت أهم الزوجات لديه.
أمة العزيز وأم محمد ابنة صالح المسكين بنت عمه سليمان بن أبي جعفر،
ابنة عبد الله التي تعود بالنسب إلى عثمان بن عفان وتلقب الجرشية لأنها ولدت بجرش باليمن،
عزيزة بنت صالح وهي بنت خاله أخو أمه الخيزران.
هذا بخلاف الجواري ملك اليمين، حيث كان وجود الجواري والحظايا أمرا معروفا في ذلك الوقت وخاصة عند الملوك والأمراء وكبار القوم.

- أولاده :

ولد لهارون الرشيد عشرة أبناء واثنتا عشر بنتا.
الأبناء:
محمد الأمين من زوجته زبيدة،
عبد الله المأمون من جارية فارسية اسمها مراجل،
القاسم بن الرشيد وأمه قصف،
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله ووالدته تركية اسمها ماردة خاتون،

أحمد السبتي وعلي من زوجته أمة العزيز،
وصالح من جارية اسمها رثم،
ومحمد أبو يعقوب ومحمد أبو عيسى ومحمد أبو العباس ومحمد أبو علي وهؤلاء من أمهات أولاد.
البنات :
سكينة أخت القاسم،
وأم حبيبة أخت المعتصم من ماردة خاتون،
وأروى وأم الحسن وحمدونة وفاطمة وأمها عفص،
وأم سلمة وخديجة وأم القاسم رملة وأم علي وأم الغالية وريطة وكلهن من أمهات أولاد.

صفاته الخَلقية والخُلقيّة:

- وصـــفه:

كان تام الخلقة جميلا طويلا أبيض متناسق القوام قد وخطه الشيب له وفرة إذا حج حلقها.

- أخـــلاقه :

تدينه : كان يحج عاما ويخرج للغزو عاما ،ويصلى في اليوم مائة ركعة
زاهدا : رفض الخروج على أخيه الهادى بل وبايعه بالحكم على الرغم أن أبيه وأمه أرادا الرشيد ليكون ولي للعهد
عالما : بالأدب، وأخبار العرب، والفقه، والحديث، وكان كثيرا ما يناقش العلماء والأدباء، كذلك كان ينقد الشعر والشعراء.
فصيحا: إذ له عدد من الأشعار، وكان له محاضرات مع علماء زمنه .
شجاعا وقويا: إذ كانت غزواته كثيرة وهو أول خليفة عباسي يقود الغزو بنفسه ولذلك لقب ب (جبار بني العباس)
متواضعا : ولا يوجد خليفة أجود منه حسن السيرة والسلوك
كريما: ينفق يوميا 1000 درهم صدقة

أعماله قبل توليه الحـــكـــم:

عنـدما أصـبح هـارون شـابا يافعـا عينـه والـده قائـدا في الجـيش الـذي يضـم العديـد مـن قـادة الكبـار وأمـراء الدولـة، وكـان عمـر هـارون وقتهـا لا يتجـاوز الخمـس عشـر عامـا، وخـرج الجـيش عـام 163هـــ إلى أراضـي الـروم وتوغـل فيهـا وأظهـر هـارون براعـة في قيادتـه وحاصـر قلعـة روميـة اسمهـا سمـالوا ثمانيـة وثلاثـين يومـا حتـى انتهـى الأمـر بفتحهـا، وعـاد الرشـيد بـالجيش سـالما محمـلا بالغنائم فاستقبله أهل بغداد وكافأه المهدي بتوليته بلاد أذربيجان وأرمينية.
وفي عـام 165هـــ تـزوج الرشـيد ابنـة عمـه زبيـدة بنـت جعفـر، وبعـد الـزواج بفـترة قصـيرة أرسـله والـده المهـدي لقيـادة جـيش آخـر لغـزو الـروم، مكـون مـن 95,793 رجـلا، وصـل جنـود الرشـيد خلـيج البحـر المطـل علـى القسـطنطينية، وكانـت حـاكمتهم يومئـذ أيـرين زوجـة أليـون الملقبـة (أغسطه) وهـي وصيـة العـرش لابنهـا قسـطنطين البـالغ مـن العمـر تسـع سـنوات، فطلبـت الصـلح مـن الرشـيد، بعـد أن رأت القتـل في الـروم، علـى أن تـدفع لـه سـبعين ألـف دينـار كـل سـنة، فقبـل ذلـك منهـا وأرسـلت معـه الهـدايا لوالده الخليفة المهدي وتعاهدت مع الرشيد على هدنة ثلاث سنين.

عاد هارون من تلك الغـزوة إلى بغـداد وقـد فـرح المهـدي بانتصـار ابنـه وأطلـق عليـه لقب الرشـيد، وأخـذ لـه البيعـة كـولي للعهـد بعـد أخيه الأكبر موسى الهادي، فأصبح هارون الرشيد ولي العهد الثاني.

تـــــــــوليـــــه الحكم:

بويـع الرشـيد بالخلافـة ليلـة الجمعـة الـتي تـوفي فيهـا أخـوه موسـى الهـادي 14 ربيـع الأول 170 هــ 14 / سـبتمبر786 م (وكـان عمر الرشيد وقتها اثنتين وعشرين سنة وهو الخليفة العباسي الخامس.
وكانـت الدولـة العباسـية حـين آلـت خلافتهـا إليـه مترامـية الأطـراف متباعـدة، تمتـد مـن وسـط آسـيا حتـى المحـيط الأطلسـي، معرضـة لظهـور الفـتن والثـورات، تحتـاج إلى قيـادة حكيمـة وحاسـمة يفـرض سـلطانها الأمـن والسـلام، وتـنهض سياسـتها بـالبلاد، وكان الرشيد أهلا لهذه المهمة الصعبة في وقت كانت فيه وسائل الاتصال صعبة، ومتابعة الأمور شاقة.

➤ فـــــتـــــرة حـــــــكـــــمـــــه:

تـولى الرشـيد الحكـم واحـد وعشـرين عامـا وفـى عصـره بلغـت الدولـة العباسـية أوج مجـدها وقوتهـا واتسـاعها وبـدأ بالإصـلاح الداخلي متزامنا مع غزواته الخارجية التى لا تكاد تنقطع عاما
تصديه للفتن والثورات الداخلية:

- **إخماد ثورات الخوارج**

ظهرت طائفـة الخـوارج أثنـاء القتـال الـذي جـرى بـين علـي بـن أبـي طالـب ومعاويـة بـن أبـي سـفيان، واسـتمر خـروج هـذه الطائفـة علـى خلفـاء بـني أميـة وبـني العبـاس، لكـنهم لم يكونـوا بـالخطورة الـتي كـانوا عليهـا في العصـور السـابقة أثنـاء عصـر الرشـيد لـذلك سهل علـى الرشيد القضـاء علـى ثـوراتهم. كانـت أول ثـورة قـام بهـا الخـوارج قادهـا الفضـل بـن سـعيد الحـروري لكنـه قتـل بعـد فـترة وجيـزة مـن خروجـه. ثـم الصحصـح الخـارجي بـالجزيرة فتصـدى لـه والـي الجزيـرة لكنـه انهـزم أمامـه وسـار الصحصـح إلى الموصـل فقاومـه عسـكر المدينـة بباجرمي لكـنهم لم يتمكنـوا منـه وعـاد إلى الجزيـرة، فأرسـل لـه الرشـيد جيشـا لحقـه بدورين فقتله وقضى على ثورته.

في سنة 178 هـ خرج الوليد بـن طريـف الـتغلبي بـالجزيرة فـدخل إلى أرمينيـة وحاصـر مدينـة خـلاط عشـرين يومـا فافتـدوا منـه أنفسـهم بـثلاثين ألفـا. ثـم سـار إلى أذربيجـان ثـم إلى أرض حلـوان وأرض السـواد ثـم عـبر إلى غـرب دجلـة وقصـد مدينـة بلـد وافتـدى أهلها منـه بمائـة ألـف، وبقـي في أرض الجزيـرة فأرسـل اليـه الرشـيد قائـده يزيـد بـن مزيـد بـن زائـدة الشـيباني الـذي واجـه الوليـد وانتصـر عليـه وقضـى علـى ثورتـه وانتهـت الأزمـة بمقتـل الوليـد. في عـام 179 هـ خـرج حمـزة بـن أتـرك السجسـتاني وعظـم أمـره عـام 185هـ عنـدما عـاث فسـادا في بـادغيس بخراسـان فتصـدى لـه عيسـى بـن علـي بـن عيسـى وقتـل الكـثير مـن أعوانـه وهـرب حمـزة إلى كابـل .في سنة 191 هـ خـرج ثـروان بـن سـيف في سـواد العـراق فتصـدى لـه طـوق بـن مالـك ممـا أدى إلى فـرار ثـروان ولم يعـد لـه من أثر يذكر.

- **إنهاء الفتن الداخلية**

ظهـرت حركـات اسـتقلالية في دولـة الخلافـة ترغـب في الاسـتقلال وتصـدى لهـا الرشـيد وقضـى عليهـا. في سـنة 178هـ قامـت طائفـة مـن قـيس وقضـاعة علـى والـي مصـر فقـاتلوه فبعـث لهـم الرشـيد هرثمـة بـن أعـين فقـاتلهم حتـى أذعنـوا لـه الطاعـة وأدوا مـا علـيهم مـن الخـراج، كـذلك أخمـد هرثمـة فتنـة قامـت في أفريقيـا بقيـادة عبدويـه الأنبـاري، وكـان الفضـل فيهـا يعـود ليحيـى البرمكي الذي كاتب عبدويه ووعده الأمان إن استجاب له فاستسلم عبدويه ووفى له يحيى بالأمان.

ظهرت بعض الفـتن في عـام 176هـ في الشـام بـين القبائـل المضـرية واليمانيـة ودامـت المعـارك بينهمـا دهـرا طـويلا فأرسـل الرشـيد جيشـا أنهـى تلـك الفتنـة عـام 177 هـ في عـام 185 هـ خـرج أبـو الخصـيب وهيـب بـن عبـد الله النسـائي واحتـل أبيـورد وطـوس ونيسابور ثم هزم في مرو وخرج اليه علي بن عيسى بن ماهان وواجهه وقضى عليه عام 186 هـ.

❖ سيـاستـه الخــارجية:

- **الامبراطورية البيزنطية**

كانـت علاقـة الرشـيد بالإمبراطوريـة البيزنطيـة علاقـة حـرب وعـداء كمـا كانـت علـى عهـد أبيـه وجـده، ولقـد واصـل هـارون الرشـيد اسـتكمال تحصـينات ثغـوره المتاخمـة للدولـة البيزنطيـة، وأقـام منطقـة جديـدة بـين شمـال الجزيـرة وشمـال بـلاد الشـام أطلـق عليهـا اسـم منطقـة العواصـم وجعـل قاعـدتها مدينـة منـبج في شمـال شـرق حلـب ورتـب فيهـا جيشـا دائمـا، كـذلك أهـتم بمنطقـة الثغـور الشـامية الـتي علـى الحـدود بـين آسـيا الصـغرى وسـوريا فعمـر فيهـا طرسـوس وأضـنة وعـين زربـه (نـاورزا) كمـا أقـام فيهـا حصـونا جديـدة مثـل حصـن الهارونيـة بـين مـرعش وعـين زربـه، اهـتم الرشـيد بمنـاطق الثغـور وولى عليهـا ابنـه الثالـث أبـا القاسـم الملقب بـالمؤتمن، كـذلك اهـتم الرشـيد بتقويـة الجـيش العباسـي حتـى صـار مـن أقـوى جيـوش العـالم في ذلـك الوقـت ثـم وجـه الحملات المتكررة على المواقع البيزنطية في آسيا الصغرى .

كانـت شـهرة هـارون الرشـيد قبـل الخلافـة تعـود إلى حروبـه ضـد الـروم، فلمـا ولـي الخلافـة اسـتمرت الحـروب بينهمـا، وأصـبحت تقـوم كـل عـام تقريبـا. وأضـطرت دولـة الـروم أمـام ضـربات الرشـيد المتلاحقـة إلى طلـب الهدنـة والمصـالحة، فعقـدت إيـريني ملكـة الـروم صـلحا مـع الرشـيد، مقابـل دفـع الجزيـة السـنوية لـه في سـنة 181 هـ، وظلـت المعاهـدة سـارية حتـى نقضـها إمبراطـور الـروم نقفـور الأول، الـذي خلـف إيـريني في سـنة 186 هـ وكتـب إلى هـارون" :مـن نقفـور ملـك الـروم إلى هـارون ملـك العـرب، أمـا بعـد فـإن الملكـة إيـريني الـتي كـانت قبلـي أقامتـك مقـام الـرخ (القلعـة في الشـطرنج)، وأقامـت نفسـها مقـام البيْـدق (الجنـدي في الشـطرنج)، فحملـت إليـك مـن أموالهـا مـا كنـت حقيقـا بحمـل أمثالهـا إليهـا، لكـن ذلـك ضـعف النسـاء وحمقهـن، فـإذا قـرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وأفتدِ نفسك بما يقع به المبادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك."

فلما قرأ هارون هذه الرسالة غضب غضبًا شديدًا ورد عليها برسالة مماثلة قال فيها" : من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام ."خرج هارون الرشيد على رأس جيش كبير بلغ تعداده 135 ألفا سوى الاتباع والمطوعة وتوغل في آسيا الصغرى حتى وصل هرقلة عاصمة كورة بيثينيا فحاصرها واستولى عليها عنوة سنة 806 م وأعقب ذلك توجيه حملات متلاحقة بقيادة كبار قواده أمثال داود بن عيسى وشراحيل بن معن بن زائدة ويزيد بن مخلد، هزمت جيوش البيزنطيين ودمرت حصونهم واضطر الامبراطور نقفور أن يتناسى خطابه ويعترف بهزيمته ويتعهد بدفع الجزية من جديد وفي ذلك يقول الطبري: "وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولي عهده وبطانته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ابنه استبراق هوستوراكيوس بدينارين كما تعهد بأن لا يعيد ترميم الحصون التي دمرها الرشيد."

- الامبراطورية الرومانية المقدسة

اشتهرت شخصية الرشيد في أوروبا نتيجة لعلاقته الودية مع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة شارلمان 814 - 768) م، بودلت بينهما السفارات، والبعثات الدبلوماسية المتنوعة كما وردت في الحوليات الملكية الكارولنجية في المدة التي بين 797 ـ 806 م، أرسل شارلمان ثلاث سفارات مختلفة إلى البلاط العباسي في بغداد وفي المقابل أرسل الرشيد بعثتان تجاريتان على الأقل إلى أوروبا.

➤ أعـــمالـــه:

- بيت الحكمة:

أنشأ أول دار علمية في الحضارة الإسلامية ،وزودها بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات من مختلف بقاع الأرض .وكانت تضم غرفا عديدة تمتد بينها أروقة طويلة، وخصصت بعضها للكتب، وبعضها للمحاضرات، وبعضها الآخر للناسخين والمترجمين والمجلدين.

كما تمت في عهده أول ترجمة إلى العربية لأشهر كتاب علمي عرف في التاريخ وهو "كتاب الأصول (الأركان) في الهندسة والعدد لإقليدس وتطورت العلوم خصوصًا الفيزياء الفلكية والتقنية، وابتكرت عدد من الاختراعات كالساعة المائية،

كما أنشيء في عهده أول مصنع للورق ببغداد سنة 795 م، وصار سوق الوراقين لاحقا الذي يضم مئات الحوانيت التي تبيع السلع الورقية الفاخرة مفخرة عاصمة العباسيين وكان ورق بغداد يقدر تقديرا عاليا في المنطقة حتى أن بعض المصادر البيزنطية تسمي الورق بصحف بغداد في ربط مباشر بينه وبين مدينة بغداد

- العــمارة والمدن:

أنشأ الرقة عاصمة له بين عامي 799 و800

شيّد مدينة الواقفة قرب مدينة الرقة على ضفاف الفرات لتكون مقرا صيفيًا لحكمه

اهتم هارون الرشيد بالإصلاحات الداخلية فبنى المساجد الكبيرة والقصور الفخمة وفي عهده استعملت القناديل لأول مرة في إضاءة الطرقات والمساجد.

- .الــزراعة :

اعتنى الرشيد أيضًا بالزراعة ، فبنت حكومته الجسور والقناطر الكبيرة وحفرت الترع والجداول الموصلة بين الأنهار، وأسس ديوانا خاصًا للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال الإصلاحية، ومن أعماله أيضًا تشجيع التبادل التجاري بين الولايات وحراسة طرق التجارة بين المدن،

- بغــــداد :

غدت بغداد فى عصره أهم وأعظم مدينة فى العالم قاطبة، وأصبحت قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأي والمناقشة، وثراء الجدل والحوار.

كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع. وكان الرشيد نفسه يميل إلى أهل الأدب والفقه والعلم، حتى ذاع صيت الرشيد وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطهِ تخطب وده، وتطلب صداقته ،

- اهتمامه بالعلماء والأدباء:

امتلأت مجالسه بالشعراء والعلماء والفقهاء والأطباء والموسيقيين،

كان محبا للعلماء والأدباء ويغدق عليهم العطايا ويتواضع عندهم

ومن أشهر الأدباء الذين عاصروا الرشيد وحضروا مجالسه الشاعر الكبير أبو العتاهية وأبو سعيد الأصمعي.

ومن علماء الدين الذين عاشوا في عصره الإمام الشافعي صاحب المذهب الشافعي والإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي في الفقه الذي التقى بالرشيد حين قصد الخليفة منزله بالمدينة المنورة وقرأ عليه الامام كتاب الموطأ
صاحبه الكسالى عالم اللغة العربية الكبير وتتلمذ على يديه وكان مصاحبا له طوال حياته
وعلى الصعيد العلمي، دعم الرشيد عالم الكيمياء المشهور جابر بن حيان وأسس وتلامذته منهج التجربة في العلوم.
كان العلماء يبادلونه التقدير، روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: (ما من نفس تموت أشد علي موتا من أمير المؤمنين هارون ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره).

➤ وفـــــاتــــــه:

توفي هارون الرشيد عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عاما، حيث كان شابا، وكان ذلك في مدينة طوس شمال إيران، وأما سبب وفاته فهو علة في بطنه كان يُخفيها عن الجميع حتى أقرب الناس إليه، وهم ولداه المأمون والأمين إلا أنه في طريقه لإحدى الغزوات شعر بدنو أجله وقد اشتد به المرض إلى أبعد حد، فقام بكشف هذا الأمر لأحدِ أصدقائه المقرّبين، وتوفي بعد ذلك بفترةٍ قصيرة .كان الرشيد يُخفي عِلته من خلال رَبط بطنه بقطعةٍ من الحرير؛ حتى لا يُظهر لأحد ما يُعانيه، وقد تمّ دفنُه في مدينة طوس شرقى ايران



الدولة العباسية في أقصى اتساعها

❖ المـــــــــراجـــــع:

1. تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج8.
2. سير أعلام النبلاء ط الرسالة ج 9 :الذهبي
3. في التاريخ العباسي والأندلسي: أحمد مختار العبادي
4. .هارون الرشيد، الخليفة الذي شوه تاريخه عمدا، منصور عبد الحكيم - دار الكتاب العربي
5. الكامل في التاريخ ج5 :ابن الأثير

4- عبد الرحمن الناصر (الثالث)

❖ نســـبـــــــه وميلاده :

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

ولد عبد الرحمن في قرطبة في 22 رمضان 277 هـ (ديسمبر 890 م)، لأبيه محمد ابن الأمير عبد الله بن محمد سابع أمراء دولة بني أمية في الأندلس،

وأمه أم ولد مسيحية أوروبية تدعى مزنة أو ماريا ' كان أبوه أكبر أبناء الأمير عبد الله وولي عهده، إلا أنه قتل بعد ولادة ابنه عبد الرحمن بنحو عشرين يومًا بعد أن حسده أخوه المطرف لاختيار أبوهما لمحمد وليًا للعهد، فوشي به عند أبيه متهمًا إياه بالتواطؤ مع زعيم المتمردين على عرش الإمارة عمر بن حفصون .

ارتاب الأمير عبد الله في ولده محمد، وأمر باحتجازه في القصر، ولم يمض وقتا طويلا حتى ثبتت براءته. وقبل أن يهم الأمير بإطلاق سراح ابنه، بادر المطرف شقيقه في سجنه، وأثخنه طعانا حتى قتل.

❖ نشـــأتــــــه:

بعد مقتل أبيه كفله جده الأمير عبد الله وأسكنه في قصره، فنشأ مقربًا إلى جده الذي آثره وأولاه عنايته، وعني بتربيته وتعليمه، فتعلم القرآن والسنة، كما درس الشعر والتاريخ والنحو، وعلمه فنون الحرب والفروسية، فكان محل ثقة جده الذي أوكل إليه القيام بالعديد من المهام، بل وندبه للجلوس مكانه في بعض المناسبات والأعياد لتسلم الجند عليه، وحين اشتد به المرض، برئ إليه بخاتمه إشارة منه باستخلافه.

❖ أســــــــرتـــــه :

أنجب من الأولاد أحد عشر وهم الحكم وعبد العزيز والأصبغ وعبيد الله وعبد الله وعبد الجبار وعبد الملك وسليمان وعبد الله ومروان والمنذر والمغيرة 'وقد خلفه من بعده ولد الحكم الملقب بالخليفة المستنصر بالله

❖ صفاته الخَلقية والخُلقيّة:

وصـــــفـــــه:

أشقر أبيض جميل الوجه أزرق العينيين قوى البنية قصير الساقين

شخــــصيته:

استطاع عبد الرحمن أيضًا أن يجمع بين شخصية القائد العسكري المحنك والسياسي الداهية ورجل الدولة والإدارة اللبيب، وهي الصفات التي لم يسبق أن اجتمعت في حاكم للأندلس منذ عهد جده الأمير عبد الرحمن الداخل

- أديـــــبا : يهوى نظم الشعر، ويقرب الشعراء والأدباء، شغوفا باقتناء نفائس الكتب
- الشجـــــاعة : كان لا يمل من الغزو، فيه سؤدد وحزم وإقدام، وسجايا حميدة.
- الورع والتقوى : أصابهم قحط، فجاء رسول قاضيه منذر البلوطي يحركه للخروج، فلبس ثوبا خشنا، وبكى واستغفر، وتذلل لربه، وقال: ناصيتي بيدك، لا تعذب الرعية بي، لن يفوتك مني شيء. فبلغ القاضي، فتهلل وجهه، وقال: إذا خشع جبار الأرض، يرحم جبار السماء، فاستسقوا ورحموا.
- الرحمة بالرعية: وفي نهاية عام 302 هـ، حلت مجاعة عظيمة بالأندلس استمرت للعام التالي فانتشر الوباء وعم الموت. فأوقف حملاته العسكرية في ذلك العام ووزع الصدقات والمؤن على الفقراء والمعوزين، فحذا حذوه الأمراء وكبار رجال الدولة فأخرجوا الصدقات للفقراء، مما ساهم في تخفيف وطأة المجاعة على الشعب إلى حد ما، مما زاد من شعبيته بين أبناء شعبه.
- يجل رجال الدين ويتقبل نقدهم :
  فقد وجه له القاضي المنذر بن سعيد البلوطي نقدًا لاذعًا مبطنًا تأذى منه عبد الرحمن من على المنبر في خطبة الجمعة لإسرافه في الإنفاق على بناء مدينة الزهراء ورغم ذلك لم

يلجأ عبد الرحمن لعقاب القاضي أو مسه بأي صورة من الصور.

- **الحـــــزم** : حازمًا في مواجهة الحركات الدينية كحركة ابن مسرة الجبلي الذي كان ينشر آراء المعتزلة واستطاع جذب مريدين واستمرت حركته حتى عام 340هـ رغم وفاة ابن مسرة نفسه عام 319هـ. ولم تنتهِ إلا بأمر من عبد الرحمن الناصر بملاحقة الحركة ومنعها

❖ تـــــوليـــه الحكم:

مات الأمير عبد الله في غرة ربيع الأول من عام 300 هـ، وما أن لفظ الأمير أنفاسه الأخيرة، حتى أخذت البيعة لحفيده عبد الرحمن بن محمد في قصر قرطبة، فبايعه في البداية أعمامه أبان والعاص وعبد الرحمن ومحمد وأحمد، ثم أعمام أبيه العاص وسليمان وسعيد وأحمد. ثم بايعت حاشية القصر والوزراء، ففقهاء قرطبة وأعيانها حتى الظهر، فصلى عبد الرحمن على جثمان جده ودفنه. بعد ذلك، جلس جمع من وزرائه لتلقي البيعة عنه في المسجد الجامع في قرطبة، ثم أرسلت الرسل إلى عمال الأمير في سائر الكور لأخذ البيعة من الناس ليكون الأمير الثامن في دولة الأندلس.
كانت بيعة عبد الرحمن حينئذ أمرا غير معهود، فقد كانت العادة أن ينتقل الأمر من الآباء إلى الأبناء أو إلى الإخوة، وهو ما لم يحدث رغم وجود عدد من أبناء الأمير عبد الله وإخوته على قيد الحياة عند وفاة الأمير ، وكان ذلك :

- لرغبة جده الأمير عبدالله أن يخلفه عبد الرحمن وهو من أعطى له ختمه قبل وفاته
- موهبة وبراعة وعبقرية عبد الرحمن
- خوف أعمامه من التمزق الذى أصاب الدولة في ذلك الوقت وحركات التمرد المتعددة

❖ فــتـــرة حـــــكـــمــه:

تولى عبد الرحمن الناصر الحكم والإمارة تمتلأ بالإنقسامات والتمرد الداخلي وخطر الأعداء الخارجيين من المسيحيين في أوربا والفاطميين الشيعة في بلاد المغرب، ولم يمر عاما الا وفيه العديد من الحروب للقضاء على الثورات والتمرد أو قتال الأعداء.

- **تنظيم الإمارة داخليًا**

ولى مولاه بدر بن أحمد الحجابة، وأقر بعض الوزراء من ذوي الخبرة كأحمد بن محمد بن أبي عبدة الذي ولاه قيادة الجيش كما استبدل البعض الآخر، وقام بقمع الثورات والتمرد على النحو التالى:

1. قمع تمرد الفتح بن موسي ذي النون في منطقة كورة جيان ربيع الأخر عام 300 هـ (بعد ايام من توليه الحكم)
2. قمع تمرد سعيد بن هزيل واستولى على حصن المنتلون في رمضان 300 هـ
3. أخضع الأمير الشجاع مالقه العديد من الحصون والقلاع وبلغ عددها 300 حصن وقلعة في ثلاثة أشهر وعاد إلى قرطبة في عيد الأضحى 300 هـ
4. إخضاع إشبيلية في جمادى الأول 301 هـ بعد معركة شرسة مع أحمد بن مسلمة بن حجاج وحليفه ابن حفصون
5. إخضاع حصون كورة رية والجزيرة الخضراء في شوال 301 هـ بعد هزيمة بن حفصون وحلفائه من الممالك المسيحية عند قلعة طرش
6. قمع تمرد حبيب بن سوادة في قرمونة في ذى القعدة 301هـ وعاد الى قرطبة في ذى الحجة
7. استطاع القضاء على تمرد المرتد عمر بن حفصون واولاده الذين حاربوا الإمارة لنصف قرن وتم ذلك في ذى القعدة لعام 315 هـ وتم القضاء نهائيا على حكمهم .
8. من عام 314 هـ حتى 317 هـ أخضع مدينة سرية معقل بنى ذى النون ومدينة شاطبة وبذلك أخضع الثغر الأعلي
9. القضاء على تمرد بنى مروان الجليقيين الذين سيطروا على بطليوس وماجاورها لنحو أربعين عاما وذلك في ربيع الأول لعام 317 هـ
10. القضاء على تمرد عبدالرحمن بن سعيد بن مالك وسيطر على باجة ثم أكشونية في نفس العام 317هـ وبذلك أخضع غرب الأندلس
11. تم إخضاع طليطلة في عام 320هـ بعد حصارها عامين متتاليين.
12. تم إخضاع سرقسطة في المحرم من عام 326 هـ بعد حصارها لعدة شهور

- **قتال الممالك المسيحية:**

لم يكن عبد الرحمن الناصر هو من يبدأ بالحرب ولكنه لم يتهاون في محاربة من يعتدى علي سيادة الدولة الإسلامية ،وفى كثير من الأحيان كان المسيحيين يعرضوا الصلح ورغم قوة جيش المسلمين وضعف المسيحيين كان يقبل تطبيقا لقواعد الأسلام (وإن جنحوا للسلم فإجنح لهم) ولكن للأسف كان المسيحيين في كل الأحوال ينقضون العهود وهذه هى أشهر الحروب:

-1 عام 304 هـ، بعث الأمير الجديد قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة في جيش إلى الشمال لمهاجمة أراضي مملكة ليون، وعاد منها محملا بالسبي والغنائم.

-2 ربيع الأول 306هـ انتصر جيش المسلمين بقيادة حاجب الأمير بدر بن أحمد على جيوش ليون بقيادة أردونيو الثانى ونافارا بقيادة سانشو الأول

-3 ربيع الأول 308هـ حقق جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الناصر إنتصارا ساحقا على تحالف جيوش مملكتى ليون ونافارا في معركة خونكيرا وتم اكتساح مملكة قشتالة ونافارا وذلك ردا على اعتداء المسيحيين على الأراضى الإسلامية

-4 محرم 312 هـ إستطاع الجيش الإسلامي بقيادة الأمير البطل عبد الرحمن الناصر هزيمة جيوش المسيحيين في عدة مواقع وغزا عاصمة مملكة نافارا وذلك ردا على هجوم المسيحيين على المدن الإسلامية وقتل زعماء المدن الإسلامية

-5 جمادى الأول عام 322 هـ قاد الأمير عبدالرحمن الناصر حملة على مملكة قشتالة لتأديب راميرو ملك ليون بعد إعتدائه على الأراضى الإسلامية وتم غزو الأراضى القشتالية وعاصمتها واراضى مملكة ليون دون مقاومة من المسيحيين وذلك لخوفهم الشديد من جيش المسلمين

-6 انتصر عبد الرحمن الناصر على جيش المسيحيين فى موقعة اشتيين فى شهر محرم عام 326 هـ بعدما غزت جيوشه اراضى قشتالة وليون

-7 ارسل عبد الرحمن الناصر جيشا لغزو مملكة ليون عام 399 هـ وانتصر عليهم مما اضطرهم لطلب الصلح

- **خطر الدولة الفاطمية :**

واجه عبدالرحمن الناصر خطر الفاطميين الشيعة بالتالى:

1. أعلن نفسه خليفة للمسلمين نظرا لضعف الخلافة العباسية وخوفه من سيطرة الشيعة علي الخلافة ومحو المذهب السنى، وتم ذلك في يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة عام 316 هـ
2. احتل مرفأ مليلة عام 314 هـ، وأقام عليه حاكمًا من قبله ينتمي لقبائل مكناسة
3. أمر عبد الرحمن أميري البحر أحمد بن محمد بن إلياس وسعيد بن يونس بن سعديل بالتوجه بأسطول من مائة وعشرين سفينة تحمل سبعة آلآف مقاتل لاحتلال مدينة سبتة، فاستولى هذا الأسطول على المدينة في جمادى الآخر من عام 319 هـ
4. بعث عبد الرحمن رسله إلى صاحب طنجة يطالبه بتسليم المدينة، غير أنه رفض ذلك، فأمر عبد الرحمن أسطولة بمحاصرة طنجة، حتى أعلن صاحب طنجة استسلامه وسلم المدينة للأسطول الأندلسي
5. عقد عبد الرحمن مجموعة من التحالفات مع بعض أمراء البربر المعادين للفاطميين فدخلوا في طاعة عبد الرحمن الناصر، فبسط بذلك عبد الرحمن سلطانه على أجزاء كبيرة من المغرب، خاصة مع دخول موسى بن أبي العافية أمير مكناسة في طاعة عبد الرحمن وتحالف الأدارسة معه والدخول في طاعته عام 322هـ
6. دارت معارك بين الفاطميين والأسطول الأندلسى بين عامي 344 هـ و347هـ وكانت المعارك سجال بينهم ولكن استطاع الأسطول الأندلسي منع الفاطميين من عبور البحر للأندلس.

❖ أعـــمالـــه:

- **العـــمـــارة :**

غدت قرطبة في عهد الناصر واحدة من أعظم مدن العالم، بل ونافست بغداد في بهائها وعظمتها وفخامتها، واتسعت حتى بلغ عدد سكانها في عهد عبد الرحمن الناصر نحو نصف مليون نسمة ، وشرطتها 4,300 شرطي وبها 3,837 مسجد ومائة وثلاثة عشر ألف دار، ونحو ثلاثمائة حمام عام، وأرباضها ثمانية وعشرين ربضًا حول المدينة، ولها سبعة أبواب، كما كثرت بها القصور والمتنزهات الفخمة، فبلغت شهرة قرطبة حينئذ الآفاق. وقد اهتم عبد الرحمن الناصر بالعمارة والبناء أيما اهتمام حتى أنه خصص ثلث الخراج كل عام لهذا الشأن.

ومن جملة أعماله في هذا الشأن، بنائه لقصر منيف إلى جوار القصر الزاهر في قرطبة - الذي كان مقامًا للملك – سماه "دار الروضة" جلب له الماء في مجاري تنبع من رؤوس الجبال، وقد جلب له في بنائه الآف العمال والفنانين من شتى البقاع. كما أنشأ الناصر عددا من المتنزهات العظيمة في ظاهر قرطبة، جلب لها أيضًا الماء من الجبال .

- **تأسيس مدينة الزهـــراء:**

يعد تأسيس مدينة الزهراء أعظم أعمال عبد الرحمن الناصر في مجال العمارة والبناء. بنيت الزهراء شمالي غرب قرطبة بنحو خمسة أميال، لتكون قاعدة ملكية جديدة بعدما ضجت قرطبة بساكنيها وازدحموا بها. شيدت الزهراء في سفح جبل يسمى جبل العروس وقد بدأ البناء بها في غرة المحرم من عام 325 هـ، واستمر البناء بها ما بقي من عهد الناصر ومعظم عهد ابنه الحكم المستنصر، أي ما يقرب من أربعين عامًا، وقد عهد عبد الرحمن الناصر لابنه الحكم بأمر الإشراف على بناء تلك المدينة، التي خط تصميمها المهندس مسلمة بن عبد الله.

جلب الناصر لبناء الزهراء المهندسين والعمال والفنانين من شتى المدن، وبالأخص من بغداد والقسطنطينية،[1] وقد استخدم البنائين فيها أنواعًا عدة من الرخام الأبيض والأخضر والوردي الذي جيء به من كورتي ألمرية وريّة ومن إفريقية والشام والقسطنطينية، كما استخدم فيها أربعة الآف وثلاثمائة وأربع وعشرين سارية مختلفة الأحجام من الرخام، وقد بلغ عدد العمالة اليومية في بناء تلك المدينة عشرة الآف عامل كل يوم، إضافة إلى ألف وخمسمائة دابة لنقل مواد البناء، يستخدمون ستة الآف قطعة من الصخر المنحوت في البناء. وقد خصص عبد الرحمن الناصر ثلاثمائة ألف دينار كل عام لعمارة الزهراء، عدا ما أنفقه ابنه الحكم بعد ذلك .

شيد عبد الرحمن الناصر في مدينة الزهراء قصرًا عظيمًا كان آية في الفخامة والجلال سمّاه "قصر الخلافة"، أحاطه بالرياض الغناء والجنان الساحرة، وجعل جدرانه من الرخام المزدان بالذهب، وفي كل جانب من جوانبه ثمانية أبواب، وقد زينه بالتماثيل والصور البديعة، كما جعل في وسطه صهريجًا عظيمًا ملأه بالزئبق .خصص الناصر الجناح الشرقي من القصر لإقامته، وزوده بأنفس التحف والعجائب، من بينها حوضًا منقوشًا بالذهب أهداه إليه قيصر القسطنطينية، إضافة إلى حوض آخر مُزين باثني عشر تمثال من الذهب المرصع بالجواهر يخرج الماء من فيها إلى الحوض أهداه إليه وزيره أحمد بن حزم

وفي الزهراء أيضًا، شيد الناصر مسجدًا جامعًا في ثمان وأربعين يومًا فقط. استخدم الناصر لإتمام بناء هذا المسجد ألفًا من المهندسين والعمال والفنانين في اليوم الواحد، وجعل للمسجد قبابًا وأعمدة فاخرة، كان طول المسجد 97 ذراعًا وعرضه 59 ذراعًا وأرضيته من الرخام الخمري وفي وسطه فوّارة يجري فيها الماء، وقد حمل إليه منبرًا بديع الصنع والزخارف آية في الجمال . كما بنى الناصر في الزهراء دارًا عظيمة لصناعة الأسلحة وأخرى لصناعة الزخارف والحلي. وقد انتقل عبد الرحمن الناصر للإقامة في الزهراء عام 329 هـ بعد أن تم بناء القصر والمسجد الجامع.

بلغت مساحة الزهراء تسعمائة وتسعون ألف ذراع، حتى أنه من فرط اتساعها قدّر المؤرخون عدد مصاريع أبوابها بنحو خمسة عشر ألف مصراع ملبّسة بالحديد والنحاس .بعد انتقال الخليفة إلى المدينة، إتخذ الأمراء وكبار القادة ورجال الدولة منازلا لهم بالمدينة، فاتسعت الزهراء حتى اتصل عمرانها بقرطبة.

- **المسجـــد الجـــامع في قـــرطبة:**

اهتم عبد الرحمن الناصر بعمارة المسجد الجامع في قرطبة، فجدّد واجهة المسجد وفي عام 340 هـ، هدم عبد الرحمن الناصر منارة الجامع القديمة، وشيد مكانها منارة عظيمة مربعة الجوانب لها أربعة عشر شباكًا ذات عقود تحتوي على سلمين أحدهما للصعود والآخر للهبوط، في كل منها 107 درجة، وطولهما 80 ذراعًا حتى موضع ارتقاء المؤذن، وفي قمتها ثلاث تفاحات كبيرة اثنان منهما من الذهب والثالثة من الفضة، إذا وقع ضوء الشمس عليها تخطف الأبصار. وفي عام 346 هـ، زاد الناصر في عمارة المسجد الجامع زيادات كبيرة.

- **الجيش والأسطول:**

في ظل حالة التردي التي وصل إليها حال الدولة الأموية في الأندلس قبل تولي عبد الرحمن الناصر عرش الإمارة، كان لزامًا على عبد الرحمن أن يهتم غاية الاهتمام بأمر الجيش وإصلاحه وإمداده بالأسلحة والذخائر وتدريب الجنود، فالجيش هو الأداة التي كانت ستمكنه من استعادة السيطرة على شئون البلاد الداخلية والخارجية. كما اهتم عبد الرحمن بأمر الأسطول، وأضاف إليه سفنًا جديدة، حتى بلغ حجم الأسطول في ألمرية قاعدة الأساطيل الأندلسية مائتي سفينة متعددة الأنواع والأحجام، إضافة إلى تلك السفن التي تمركزت في المغرب بعد ضم سبتة وطنجة بل وخصص عبد الرحمن ثلث خراج الأندلس للإنفاق على الجيش والأسطول ودعمهما .

- **الاقتـــــصـــاد:**

بعد أن استطاع عبد الرحمن الناصر أن يصل بالبلاد إلى حالة من الاستقرار والأمن بعد السيطرة على التمردات الداخلية، وبعد نجاح حملاته التي كان يرسلها لقتال الممالك المسيحية في الشمال، والتي كانت تعود محملة بالغنائم والأموال، انتعش الاقتصاد الأندلسي، وتحسنت أحوال البلاد الزراعية والصناعية، حتى بلغت جباية الأندلس من الكور والقرى في عهد عبد الرحمن الناصر خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار، ومن ضريبة الأسواق سبعمائة وخمس وستين ألف دينار، بالإضافة إلى ما كان يدخل خزائن الدولة من أخماس الأغنام

وقد إتخذ عبد الرحمن الناصر سياسة مالية في التعامل مع تلك الأموال، بأن خصص ثلثا أموال الجباية لنفقات الجيش والأسطول وثلثا للبناء والتعمير والثلث الأخير فقد كان يدخره لنوائب الدهر

وفي 17 رمضان 316 هـ، أمر عبد الرحمن ببناء دار السكة لضرب الدراهم والدنانير في قرطبة، وولى الوزير أحمد بن محمد بن حدير أمر إدارة دار السكة

❖ العلاقات الخارجية :

بعد أن دب الوهن في أوصال الخلافة العباسية في بغداد، أصبحت الأندلس مركز العالم الإسلامي وإحدى القوى العظمى في العالم في تلك الفترة التي تزامنت مع تولي عبد الرحمن الناصر عرش الأندلس، فأصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس وجهة السفارات القادمة من دول أوروبا تخطب ود حكام الأندلس، وتم تبادل السفراء والهدايا مع:

- قسطنطين السابع قيصر القسطنطينية الملقب ببورفيروجنتوس
- بطرس الأول إمبراطور بلغاريا ولويس الرابع ملك فرنسا
- البابا يوحنا الثاني عشر بابا الفاتيكان
- الإمبراطور أوتو الأول إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وملك الألمان

❖ وفـــاتـــه:

قضى عبد الرحمن الناصر العامين الأخيرين من حياته في صراع مع المرض، وفي الثاني من رمضان من عام 350 هـ (15 اكتوبر 961 م)، توفي عبد الرحمن بعد أن أمضى خمسين عامًا في حكم الأندلس، ومن العجائب مولده ووفاته فى شهر رمضان

استطاع خلالها بحزمه وصرامته وحنكته وبعد نظره أن يعيد توحيد البلاد تحت سلطة فعلية للأمير، وأصبحت الأندلس في عصره دولة مهابة الجانب يخطب ملوك أوروبا القاصي منهم والداني ود عبد الرحمن وصداقته، وتخشى الممالك المسيحية المجاورة لدولته بأسه وبطشه، فاستعاد بذلك للإسلام عزته في تلك البلاد النائية.

ترك سجلا فيه عدد الأيام التى شعر فيها بالسعادة فى حياته فكان عددها أربعة عشر يوما فى حياة بلغت 73 عام

❖ المراجع:

- عنان، محمد عبد الله (1997). دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة.
- نعنعي، عبد المجيد (1986). تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي. دار النهضة العربية، بيروت.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (1980). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب-الجزء الثاني. دار الثقافة، بيروت.
- الدليمي، انتصار محمد صالح (2005). التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366 هـ / 912-976 م). جامعة الموصل.
- ابن حزم، علي (1982). جمهرة أنساب العرب. دار المعارف، القاهرة. ISBN 977-02-0072-2 .
- ابن حزم، علي (1987). رسائل ابن حزم الأندلسي - الجزء الأول والثاني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - تحقيق إحسان عباس.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد (1988)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت

5- يوسف بن تاشفين
(أمير المسلمين)

❖ نسبــــــــــه وميلاده :

هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلمي بن تامليت من قبيلة لمتونة الصنهاجية.

أمه هي ابنة عم أبيه فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارتقطين.

ولد ابن تاشفين عام 400 هـ الموافق 1009

كانت قبيلته تسكن المنطقة الممتدة من وادي نون إلى رأس موغادور، إلى مدينة ازكي شرقا (المغرب) و كانت المناطق الشمالية مقرا لبني وارتقطين . عرفت قبيلته بالسيادة وبسطت سيطرتها على صنهاجة، واستطاعت الاحتفاظ بالرئاسة منذ أن جعلها فيها الإمام ابن ياسين.

⅄ نشـــأتـــه :

تربى ابن تاشفين في الصحراء وأخذ منها عادات أهلها وتقاليدهم. تلقى في طفولته العلم من أفواه المحدثين والوعاظ، إذ أن المدارس كانت نادرة في الصحراء، ولم يتعمق في العلوم الدينية، لأن المسائل المعقدة كانت من مهام الفقهاء، وفي الصحراء لم تكن البيئة مواتية لقدوم الفقهاء والتدريس فيها، وقد نال ابن تاشفين نصيبًا من تعاليم ثورة عبد الله بن ياسين.

⅄ وصفـــه:

كان يوسف أسمر اللون معتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، رقيق الصوت، أكحل العينين أقنى الأنف، له وفرة تبلغ شحمة الأذن، مقرون الحاجبين أجعد الشعر.

⅄ شخـــصيته:

- الورع : عاش مايقرب من مئة عام كلها لله وكان حافظا للقرآن وللأحاديث الشريفة وللفقه
- الجهاد :ظل مجاهدا لله طيلة حياته ولم يتوان عن نصرة إخوانه فى الأندلس ومن أقواله:
  «إنما جئت ناويًا جهاد العدو، فحيثما كان العدو وجهت نحوه»
- الزهد: كان يلبس الصوف الخشن ويقتات على لحوم الإبل وألبانها والشعير وبيته كان بسيطا
- التوكل على الله: قال عند عبوره للأندلس «اللهم إن كنت تعلم أن جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه».
- الدهاء العسكرى : وهو ماظهر فى معركة الزلاقة وغيرها من المعارك
- سياسي وإداري : وهو ما ظهر فى تنظيم المغرب العربي وهم قبائل بربية من الصعب إخضاعها

❖ أســــــرتـــــه:

زوجــــاته :

- زينب بنت إسحاق النفزاوية: أشهر نسائه وهى أم ولى العهد على
- قمر الأندلسية
- عائشة أنجبت الأمير محمد الذي نسبب إليها فصار يدعى محمد بن عائشة.

أولا د ه:

- تميم الذي كان واليًا على سبتة،
- علي خليفته من بعده، وإبراهيم،
- محمد الذي كان أحد القادة البارزين في جيش والده،
- الفضيل،

بنـــاتـــه:

كونة ورقية.

❖ ماقبل توليه الحكم:

- في الفترة (448 هـ / 1056 ـ 452 هـ / 1060) :

كان مجرد قائد عسكري يعمل تحت إمرة ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني، ولم يكن يمتلك السلطة بل كان ينفذ تعليمات غيره من الأمراء. كانت هذه المرحلة غنية بالتجارب، أهلته للانتقال للمرحلة التالية، واستطاع خلالها ممارسة السلطة والاطلاع على خفاياها دون تحمل أدنى مسؤولية، واستطاع بعدها تسلم الإمارة والقيام بأعباء السلطة.

ظهر نجم يوسف في معركة الواحات التي وقعت عام 448 هـ ، فقد كان قائدا لمقدمة جيش المرابطين المهاجم، وبعد فتح مدينة سجلماسة عينه الأمير أبو بكر واليا عليها ، فأظهر مهارة إدارية في تنظيمها. بعد ذلك غزا بلاد جزولة، وفتح ماسة، ثم سار إلى تارودنت قاعدة بلاد السوس وفتحها، ثم فتح مدينة أغمات ومدينة تادلا عام 449 هـ.

شارك فى معركة تحرير برغواطة وفيها جرح وتوف أمير المرابطين عبد الله بن ياسين وتولى ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوانى رئاسة المرابطين عام 451 هـ

- فى الفترة من 452 هـ (1060 م) حتى 457 هـ (1065 م):

تولى أمر المغرب نيابه عن أمير المرابطين ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني الذى عاد للصحراء مقر المرابطين الرئيسي ،وفى بضعة أشهر أخضع بلاد المغرب الأوسط والجنوبي بأكملها بجيش لا يتعدى أربعين ألف جندى ونظم أمورها وأصلح شئونها ووضع حجر أساس مدينة مراكش 462 هـ،

وهو مادفع إن عمه الأمير أبو بكر للتنازل له عن الإمارة وإتجه لينشر الإسلام فى الصحراء ووسط أفريقيا حتى إستشهد رحمه الله عام 480 هـ

❖ تـــــولـيـــــه الحكـــــم:

- **توضيد حكمه فى المغرب العربى:**

- فتح فاس (عام 462 هـ ،1069 م):

انتصر جيش الأمير يوسف على قبائل زواغة ولماية وصدينة ولوامة ومغيلة ومديونة وبهلولة وغيرهم ثم على فرع زناتة الذين يحكمون فاس وحلفائهم

- تم فتح جميع بلاد المغرب من حدود الريف إلى حدود طنجة (عام 463 هـ ،1070 م)
- بايعه أمراء المغرب وشيوخ القبائل من زناتة ومصمودة وغمارة
- بسط يوسف نفوذه على سائر المغرب الأقصى والشمالي باستثناء طنجة وسبتة عام 467هـ
- تم فتح طنجة عام 470 هـ
- تم فتح منطقة الريف بعد عدة معارك عام 473 هـ 1079 م
- تم إخضاع تلمسان وكافة المغرب الأوسط عام 474 هـ 1080 م
- امتدت حدود دولة المرابطين فى الشرق حتى مدينة بجاية (بالجزائر الأن) وكان يحكمها بنى أعمامه من صناجة
- فتح سبتة في ربيع الآخر 477 هـ الموافق 1084

- **حـــكـــم الأنـــدلـــس:**

➢ استنجاد أهل الأندلس بالمرابطين :

أرسل المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس رسالة إلى يوسف بن تاشفين يرثي إليه حالهم وما آل إليه أمرهم ،

وفي غرة جمادى الأولى من عام 479 هـ أرسل ابن عباد رسالة لابن تاشفين

➢ عبـــور الأندلس :

عبر الأمير يوسف بن تاشفين وجنوده الى الأندلس فى ثلاث مرات المرة الأولى والثانية بعد استنجاد حكام الأندلس به والثالثة للقضاء على حكم الطوائف

➤ العبـــــــور الأول:

تجمع جيش المرابطين فى الجزيرة الخضراء وإنضم اليهم جيوش ملوك الطوائف فى الأندلس، وقسم بن تاشفين الجيش الي جيش أندلسي بقيادة المعتمد بن عباد و جيش المرابطين بقيادته،

قام ألفونسو السادس بإعداد جيوش من كل أقطار العالم المسيحي و جهزه أحسن تجهيز لملاقاة المسلمين فى موقعة الزلاقة

معـــركـة الزلاقـــة : الجمعة 12 رجب 479 هـ الموافق 23 أكتوبر 1086

مـن أعظـم المواقـع الحربيـة فـى تـاريخ المسـلمين قاطبـة وهـى مهـدت لبقـاء المسـلمين فـى الأنـدلس لمئـات السـنيين ومـا نستفيد منها

- الوحدة : المسلمين لم يكونوا أكثر عدد وعدة ولكن توحدوا كلهم على هدف واحد
- الإسـتعداد للحـرب: أخـذ المسـلمين كـل أسـباب النصـر مـن إعـداد الأسـلحة والإسـتعداد المبكـر و التـدريب الجيـد وأحضر المرابطين معهم الجمال و الأندلسين لم يعرفوها وكانت تخيف خيول الأعداء
- التوكـل علـى الله: عنـدما يكـون القائـد مجاهـدا متـوكلا علـى الله وجنـوده وهبـوا حيـاتهم للجهـاد أكيـد النصـر سيكون حليفهم بإذن الله
- الإحتياط من مكر الأعداء:

تم الإتفـاق بـين المسـلمين والمسـيحيين علـى ميعـاد المعركـة وهـو الأثـنين ولكـن المسيحيين حـاولوا خـداع الجـيش الإسـلامى وهـاجموهم فـى فجـر يـوم الجمعـة ولكـن المسـلمين نشـروا أبطـالهم فـى معسـكر العـدو وبلغهـوهم بتحرك العدو وكان المسلمين مستعدين لمكر الأعداء

- التخطيط الجيد:

وضـع القائـد يوسـف بـن تاشـفين خطـة المعركـة بطريقـة مبتكـرة حيـث إحـتفظ بخـيرة جنـوده وهـو علـي قيـادتهم كقـوة إحتياطيـة ليجهـز علـى جـيش المسيحيين بعـد شـعورهم بالإعيـاء مـن مواجهـة مقدمـة الجـيش الإسـلامى بقيـادة المعتمـد بـن عبـاد وعشـرة ألاف جنـدى مـن المـرابطين ،فهـاجم بـن تاشـفين معسـكر العـدو بالجمـال وقتـل الحـراس وأشـعل النـار فـى المعسـكر وبـذلك فقـد العـدو الإمـدادات ثـم هـاجم الجـيش الإحتيـاطى للمـرابطين العـدو مـن الخلـف وأصـبح العـدو بـين مطرقـة المعتمـد بـن عبـاد وسـندان يوسـف بـن تاشـفين والضـربة القاضـية عنـدما أمـر بـن تاشـفين حرسـه ويبلـغ عـددهم اربعـة الاف بـالنزول لقلـب المعركـة فاسـتطاع أحـدهم طعن الفونسوا فى فخذه طعنة جعلته يعرج مدى حياته

- كـان مـن نتـائج المعركـة أن أبيـد جـيش المسـيحيين وعـددهم 80000 جنـدى ولم يتبقـى غـير عـدد قليـل فـروا مـع الفونسوا فى أحد الجبال، وكان عدد جنود المسلمين نصف عدد العدو
- ارتفعت الروح المعنوية للشعب الإسلامى فى الأندلس وأصبح بن تاشفين البطل المنتظر لإنقاذ الأندلس من التفرق
- مهدت الزلاقة لبقاء المسلمين فى الأندلس لأربعة قرون أخري

- العبـــــــور الثاني :

بعد انتهاء المعركة، أقام ابن تاشفين مع قواته بظاهر إشبيلية ثلاثة أيام، ولكنه عاد بشكل سريع للمغرب بسبب وفاة ابنه وولي عهده أبو بكر المكلف بإدارة أمور المغرب، وقام بترك ثلاثة آلاف مقاتل من المرابطين، دعمًا للمعتمد بن عباد، برئاسة القائد سير بن أبي بكر اللمتوني. ما إن أمن أهل الأندلس وأمراؤها، حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من فرقة، وانصراف لمجالس اللهو واللعب، وعاد القشتاليون للإغارة على إماراتهم ثم العودة للتحصن في حصن لييط، فشنوا غاراتهم على سرقسطة وجاراتها، وتمادوا إلى بلنسية ودانية وشاطبة ومرسية، وأخذوا عددا من الحصون، فأخذت الوفود الأندلسية بالتوجه نحو مراكش لطلب العون مرة أخرى لصد العدوان وحصن لييط.

قرر ابن تاشفين العبور إلى الأندلس **العبور الثاني**، وأخذ يعد العدة والعتاد من الجيوش وآلات الحصار، واجتاز البحر في عام 481 هـ الموافق 1088 ، وقام المرابطون بحصار حصن لييط ودكوه بالمجانيق حتى أضطر ألفونسو للإنسحاب بجنوده وإخلاء الحصن، وتم تدمير الحصن نهائيا وقرر ابن تاشفين العودة إلى المغرب بعد أن أردف أربعة آلاف مقاتل من المرابطين إلى بلنسية.

- العبـــــــور الثـــــالث :

أدت الفرقة بين ملوك الطوائف وإنغماسهم فى الملذات وتعرضهم للهجوم المستمر من ألفونسو السادس إلي عزم الأمير يوسف إلي خلع كل الملوك وتوحيد الأندلس فى دولة واحدة حتى لا يندثر الحكم الإسلامي فى الأندلس،
في عام 483 هـ الموافق 1090 عبر ابن تاشفين البحر متجها نحو الأندلس

- خلع بنى باديس وملك غرناطة ومالقة
- ولى على الأندلس القائد سير بن أبي بكر الذى استرد قرطبة وأشبيلية 484 هـ
- ولى ابنه محمد واليا على شرق الأندلس الذى استرد بلاد مرسية ووبرة وشاطبة 485 هـ

- سقطت بلنسية عام 495 هـ بعد حروب وحصار استمر لثمان سنوات مع جيش ألفونسوا السادس،وتتابعت فتوحات المرابطين فى شرق الأندلس حتى وصولهم إلي برشلونة
- استرد يوسف بن تاشفين كل الأراضى التى كانت تخضع لحكم الأمويين بعد حروب كثيرة مع القشتاليين والبرهانس والأرجوانيين
- لم يبقى خارج سلطته غير إمارة سرقسطة التى كان يحكمها أحمد ابن هود بعد طلبه للسلم ووعده ليكون سدا أمام هجوم العدو فصالحه الأمير يوسف وإن دل ذلك فيدل على أنه لم يكن يطلب الملك ولكنه أراد عز الإسلام

❖ العلاقـــــــــــات مع الدول المجاورة

الخلافة الفاطمية

لما قامت الدولة المرابطية كان هناك خلافتان تسيطران على العالم الإسلامي: خلافة سُنية عباسية وخلافة شيعية فاطمية. لم يفكر المرابطون بالاعتراف بالدولة الفاطمية بسبب العداء المستحكم بين الفرق الإسلامية، فهم مالكيون سُنيون اعتبروا محاربة الشيعة في مدينة تارودانت جهادا في سبيل الله، فلم تقم بين الدولتين علاقات طيبة، بالإضافة للعامل المذهبي هناك العامل السياسي الذي كان يباعد بينهم، فقد كانت الخلافة الفاطمية وهي في مصر قريبة من المرابطين وقوية في المغرب، فقد كانت تتدخل في شؤون المرابطين الداخلية، مما زاد العلاقة سوءا، حتى أنهم عدلوا عن طريق مصر في الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، بالرغم من المحاولات التي بذلها الوزير الفاطمي بدر الجمالي لاستمالتهم، وسلكوا طريقا آخر يمتد عبر الصحراء إلى أعالي السودان، حيث لا سيادة للفاطميين هناك.

الخـــلافة العباســية

كان المرابطون ينظرون إلى الخلافة العباسية السنية نظرة أسمى من الخلافة الفاطمية، لأنها أقرب إلى مذهبهم، ولبعدها عنهم فكانوا لا يخشونها، خاصة بعد أن تطرق إليها الفساد، ودب فيها الضعف، فأصبحت لا تشكل أدنى خطر عليهم، لذلك اعترفوا بها واتخذوا السواد شعارًا لهم، ونقشوا اسم الخليفة العباسي على نقودهم في منتصف القرن الخامس الهجري.

بعد أن بسط ابن تاشفين سيادته على الأندلس، طلب منه الفقهاء أن تكون ولايته من الخليفة لتجب طاعته على الكافة، فقرر ابن تاشفين الاتصال بالخليفة العباسي أبو العباس أحمد المستظهر بالله (487 هـ / 1074 - 512 هـ / 1118) وأرسل إليه بعثة ضمت عدد من أمرائه وفقهائه، وزودهم بهدية ثمينة وبكتاب يذكر فيه ما فتح الله على يده من البلاد في المغرب والأندلس، ويطلب تقليدا بولاية البلاد التي بسط نفوذه عليها. أدت البعثة مهمتها بنجاح، فتلطفت في القول وأحسنت البلاغ، وعادت إلى المغرب بتقليد الخليفة وعهده للأمير يوسف بن تاشفين.

بنـــو حمـــاد:

توقفت فتوحات ابن تاشفين في المغرب لجهة الشرق عند حدود بجاية حيث بنو حماد الصنهاجيين، ورغم القرابة التي تربطهم به فلم ترقهم فتوحاته، وأخذوا يتحينون الفرص للوثوب على أطراف مملكة المرابطين. وأتتهم الفرصة عندما عبر ابن تاشفين الأندلس عام 479 هـ الموافق 1086، فتحالفوا مع عرب بني هلال، وغزوا المغرب الأوسط وعادوا إلى بلادهم محملين بالغنائم، وسكت يوسف عن الانتقام منهم وصالحهم لأنهم أقاربه، ولأنهم يشكلون حدا مانعًا بينه وبين عرب بني هلال، ولا يشكلون خطرا عليه كالهلاليين.

في عام 481 هـ الموافق 1088 توفي الناصر بن علناس الحمادي أمير بجاية، فبعث ابن تاشفين بكتاب تعزية إلى ولده وخليفته المنصور، وقد دلت هذه الرسالة على نيات يوسف السليمة تجاه بني حماد. استمرت حالة السلم بين الطرفين أكثر من عشر سنوات، حتى نشب الخلاف عندما هاجم أحد قادة جيش المرابطين وهو والي تلمسان تاشفين بن تنيغمر بدون إذن الأمير يوسف بني حماد، ولكنه فشل وتراجع أمام المنصور، الذي هاجم تلمسان ولم يتوقف إلا بعد أن طلب منه ابن تاشفين السلم، فعزل والي تلمسان تاشفين وعين مكانه الأمير مزدلي بن تيلكان. بعد أن ضم ابن تاشفين الأندلس أضحت مملكة بجاية ملاذا للفارين من الأندلس، ومع ذلك لم يقم ابن تاشفين بأي تحرك تجاه بني حماد، وبقي الأمر كذلك حتى وفاته.

❖ أعـــــمـــالـــــه:

➢ الـــولاة والقضـــاة:

سيطر الطابع القبلي على دولة المرابطين من الناحية الإدارية، فقد كان ابن تاشفين يعين الولاة على الأقاليم من قبيلته لمتونة بشكل خاص وصنهاجة بشكل عام، كان الولاة يخضعون مباشرة لنائب الأمير. وقد منح ابن تاشفين سلطات واسعة لهم منها: حق التصرف في عزل وتعيين من دونهم من الولاة المحليين ومن يليهم من رجال السلطة، وكذلك القيام بتحركات عسكرية داخل مناطق نفوذهم. كان ابن تاشفين يراقب ولاته مراقبة شديدة، ويقوم بتبديلهم وعزلهم إذا أساؤوا، وكان يخطر أهل الولاية بتعيين الوالي الجديد، كما كان كثير الطواف في مملكته للإشراف على تنفيذ أوامره وتعليماته.

كان لمنصب القاضي أهمية كبيرة في عهد يوسف وخلفائه، وكان يعينهم من كبار العلماء دون الاستناد على العصبية القبلية كما كان في تعيين الولاة، حتى إن أكثر القضاة كانوا من غير قبيلة صنهاجة. منح يوسف القضاة رتبة عالية في الدولة، حتى كثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم، وكانوا يستمدون نفوذهم من سلطة الدولة نفسها، وكانوا يحكمون وفق المذهب المالكي، ويقوم بتنفيذ الأحكام الولاة والحكام المحليون. وقد شارك القضاة في معاركة ابن تاشفين في الأندلس، واستشهد بعضهم في معركة الزلاقة ومنهم القاضي عبد الملك المصمودي قاضي مراكش.

- **الوزارة وديوان الإنشاء :**

لم يتخذ يوسف وزراء بالمعنى المتعارف عليه، ولم يمنح لقب وزير لأي شخص، لكنه اتخذ موظفين يرجع إلى مشورتهم، لم يتخذ ابن تاشفين مجلس وزراء، بل كان عنده هيئة استشارية تشترك فيها طائفة من الفقهاء والأعيان والكتاب، يلازمونه في قصره وتنقلاته، ويبدون آراءهم في المشاكل المطروحة للبحث، وتبقى الكلمة الفصل له. أما في الأمور المهمة فكان يجمع زعماء المرابطين وأبناء عمومته لمتونة للتداول واتخاذ الآراء، ولم يتخذ حجابا، لأنه دولته اتسمت بالبساطة.

أنشأ ابن تاشفين ديوان الإنشاء لتحرير الرسائل، تولاه رجال من أشهر الأدباء في الحقبة الأندلسية، وأكثرهم من الذين برزوا في ظل ملوك الطوائف، إذ أن الحياة الأدبية بلغت أوجها في عهدهم، أما الأمر الذي دفع ابن تاشفين لاستقطاب الأندلسيين فهو أن المغرب لم ينجب أدباء في تلك المرحلة بحيث يمكن الاستغناء عن الأندلسيين.

- **الجيش:**

بدأ ابن تاشفين تنظيم الجيش المرابطي أيام نيابته على المغرب، وعندما تنازل له الأمير أبو بكر زاد اهتمامه به، وقد بلغ تعداد جيش المرابطين عند فتح فاس مئة ألف مقاتل. قسم ابن تاشفين الجيش إلى فرقتين كبيرتين من الفرسان والمشاة، ثم أنشأ فرقا من الرماة والأغزاز والسهام والنشاب، ثم وسع دائرة التجنيد بإشراك القبائل المغربية المهزومة من زناتة ومصمودة وغمارة في الجيش، وأطلق عليهم اسم الحشم، وأصبح جيش المرابطين يتكون من قبائل وطوائف مختلفة. بعد فتح الأندلس أشرك يوسف في الجيش إلى جانب المغربة الأفارقة عرب بني هلال، بالإضافة إلى الأندلسيين الذين شكلوا فرقة خاصة بهم غداة معركة الزلاقة، وبعد ضم الأندلس جندهم يوسف وأمرهم بالإقامة في الثغور.

شكل ابن تاشفين حرسه الخاص من عبيد غانا، فقد اشترى منهم حوالي ألفين، وأطلق عليهم اسم العلوج، هذا بالإضافة للصقالبة فقد كان عنده منهم حوالي مئتين وخمسين، وسماهم الداخليين، وهم من النصارى المعاهدين الذين اعتنقوا الإسلام. كانت قوى الحرس الخاص تشكل من أشجع الجنود، وقد وضع ابن تاشفين شروطا لقبولهم، كما درب فرقا من الفد اثيين الزنوج، يكلفون بالمهمات الصعبة، وخاصة في نهاية المعارك لانتزاع النصر. عمد يوسف لإصلاح نظام تسليح الجيش وطريقة إعداده وقتاله، ففي البدايات كانت تستخدم الأسلحة اليدوية والجمال، وهي تصلح لحروب الصحراء، أما حروب المدن والحصون فتتطلب وسائل أسلحة تتلاءم مع الوضع الجديد، وسلح الجيش بأنواع الأسلحة المغربية والأندلسية والنصرانية. كان ليوسف الفضل في تنظيم قيادة جيشه، فأثناء المعارك يرتب الجيش وفق نظام خماسي؛ المقدمة: وفيها جنود المشاة ووحدة الفرسان الخفيفة، والجناحان (الميمنة والميسرة): وفيها حملة العصي والنبال وأكثرهم من أهل الثغور، والقلب: ويتمركز فيه الفرسان المرابطون المزودون بالأسلحة الثقيلة والخفيفة، والمؤخرة: ويقودها الأمير يوسف بنفسه وتتألف من صفوة الجنود والحرس.

- **الأسطول البحري:**

كان المرابطون بدو صحراويون يجهلون ركوب البحر، ولكن الحاجة فرضت عليهم الاهتمام بشؤونه لدى بلوغهم سواحل البحر المتوسط لحمايتها من الغزو الإفرنجي. بدأ اهتمام ابن تاشفين بالإسطول منذ ذلك الوقت، وكان يتألف من سفن النقل أكثر من سفن الحرب، وخاض الأسطول أولى معاركه في سبتة عام 476 هـ الموافق 1083 ضد معز الدولة بن سكوت البرغواطي، وقد دفعت هذه المعركة ابن تاشفين إلى زيادة الاهتمام به، ثم استخدم الأسطول في عملية نقل الجند لعبور الأندلس غداة معركة الزلاقة. بعد أن ضم يوسف الأندلس لمملكته استعان بخبرة الأندلسيين في هذا المضمار، وكذلك بدور صناعتها، واستفاد من الطاقات البشرية والمادية في الشؤون البحرية، مما أدى إلى بناء قوة بحرية ساهمت مساهمة فاعلة في تحرير شرق الأندلس من النصارى، فاشترك الأسطول في معارك بلنسية وجزيرة شقر، وخاض معركة استرجاع جزيرة البليار.

- **بناء مدينة مراكش**

بعد أن أقام ابن تاشفين مملكته في المغرب وازداد نفوذه، أراد أن يبني لمملكته عاصمة جديدة، فاشترى مكانا من عجوز مصمودية عام 454 هـ الموافق 1062، يقع على بعد ستة كيلومترات إلى الشمال من وادي تنسفت، وإلى شرقه يجري فرع من وادي أسيل، ويحده من الشمال مملكة سلا وجنوبا جبل درن، وغربا المحيط الأطلسي، وشرقا مناطق سجلماسة وفاس. كان المكان مكمنا للصوص يغيرون فيه على القوافل العابرة، فكان المارة العابرون إذا انتبهوا إلى ذلك المكان قالوا لبعضهم: مركش أي امش مسرعا بلهجة البربر، ومن هنا كان اسم مراكش.

نزل ابن تاشفين المكان بخيام الشعر، وشرع ببناء المسجد، وهي الطريقة المتبعة عند تأسيس المدن الإسلامية، ثم بنى قصبة صغيرة لحفظ أمواله وسلاحه، المكان الذي بناه هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر قرب جامع الكتبيين ويعرف باسم السجينة. أصبحت المدينة

الناشئة مراكش شبيهة بالمعسكرات التي أنشأها العرب في البلاد المفتوحة، والتي تحولت فيما بعد إلى حواضر مدنية. لم يشيد ابن تشفين لعاصمته الجديدة سورا، لأن قوة الدولة كانت تحمي المدينة، وبقيت كذلك بدون سور حتى أقامه الأمير علي بن يوسف عام 527 هـ الموافق 1133. كانت مراكش خالية من المياه، إذ لا ينابيع فيها، فاضطر ابن تاشفين لجلب المياه من مدينة أغمات، كما أمر بحفر الآبار.

- السياسة المالية:

أنشأ ابن تاشفين دورا لصك النقود في مراكش عام 464 هـ الموافق 1072، وضرب فيها دراهم زنة الواحد درهم وربع من عشرين درهما للأوقية، وهو المسمى الدرهم الجوهري. وضرب الدينار الذهبي باسمه عام 473 هـ الموافق 1081، كتب عليه في الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. وكتب على الظهر: الإمام عبد الله أمير المؤمنين، ضرب هذا الدينار بمراكش سنة ثلاثة وسبعين وأربعمائة. كانت الدنانير المرابطية تأتي في المرتبة الرابعة بين مثيلاتها بالنسبة للدنانير الفاطمية، وكانت تنقص في الصب 15٪، بالإضافة إلى رسم الصكة وأجرة الضرابين 5٪، فيكون الباقي 80٪ من كل مئة مثقال، وقيمة كل مثقال 32 درهما.
ألغى ابن تاشفين جميع الضرائب الغير مشروعة في مملكته، والتي كان قد فرضها الزناتيون في المغرب وملوك الطوائف في الأندلس، وكذلك المكوس والرسوم والضرائب في جبل طارق، ولم يفرض في دولته طيلة حياته رسم أو معونة خراج لا في حاضرة ولا بادية. اتبع يوسف نظاما ماليا يقوم على قواعد الإسلام، فلم يفرض إلا ما أوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والعشر والجزية وأخماس الغنائم.

❖ وفـــــاتـــــه:

في أواخر عام 498 هـ الموافق 1104 مرض يوسف بن تاشفين، وأصابه الضعف، واشتدت به العلة. وبعد مرض دام عاما وشهرين توفي ابن تاشفين في نهار يوم الإثنين 3 محرم 500 هـ الموافق 4 يوليو 1106، بعد أن بلغ من العمر مئة عام (400 هـ / 1009 - 500 هـ / 1106)، وحضر الوفاة ولداه أبو الطاهر تميم بن يوسف، وولي عهده أبو الحسن علي بن يوسف، ودفن بحاضرة قصره في مراكش. لما أدرك بن تاشفين أن أجله قد اقترب، استدعى ولده عليا، وأفضى إليه بوصيته الأخيرة وهي تحتوي على ثلاث خصال، الأولى: ألا يهيج أهل جبل درن ومن وراءه من المصامدة وأهل القبلة، الثانية: أن يهادن بني هود وأن يتركهم حائلا بينه وبين الروم، الثالثة: أن يقبل من أحسن من أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم.

❖ المــــــــــراجــــع:

- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار (2012). المجلد السادس العدد الثاني
- عبد الهادي التازي (1407 هـ - 1987). التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الخامس دولة المرابطين (الطبعة الأولى). مطابع الفضالة.
- أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشس، تحقيق صلاح الدين الهواري (1426 هـ - 2007). المعجب في تلخيص أخبار المغرب (الطبعة الأولى). صيدا - لبنان. المكتبة العصرية
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب
- ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس (1987). رسائل ابن حزم الأندلسي الجزء الثاني (الطبعة الثانية). بيروت - لبنان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- إبراهيم القادري بوتشيش (1993). المغرب والأندلس في عهد المرابطين، المجتمع الذهنيات الأولياء (الطبعة الأولى). بيروت - لبنان. دار الطليعة للطباعة والنشر
- علي محمد الصلابي (1427 هـ - 2006). فقه التمكين عند دولة المرابطين (الطبعة الأولى). القاهرة - مصر. مؤسسة اقرأ
- سعدون نصرالله (1405 هـ - 1985). دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين (الطبعة الأولى). بيروت - لبنان. دار النهضة العربية

6- صلاح الدين الأيوبى

❖نسبــــه ونشـــــأته:

- ولد صلاح الدين في تكريت في العراق عام 532 هـ/1138م في ليلة مغادرة والده نجم الدين أيوب قلعة تكريت حينما كان واليا عليها،
- ويرجع نسب الأيوبيين إلى أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي محمد بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هُدبة بن الحُصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مُرّة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش .
- وكان نجم الدين والد صلاح الدين قد انتقل إلى بعلبك حيث أصبح واليًا عليها مدة سبع سنوات وانتقل إلى دمشق، وقضى صلاح الدين طفولته في دمشق حيث أمضى فترة شبابه في بلاط الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي أمير دمشق. ، وتلقى علومه فيها، وبرع في دراساته، حتى قال عنه بعض معاصريه أنه كان عالما بالهندسة الإقليدية وعلوم الحساب والشريعة الإسلامية، وكان أكثر شغفًا بالعلوم الدينية والفقه الإسلامي من العلوم العسكرية خلال أيام دراسته. وبالإضافة إلى ذلك، كان صلاح الدين ملمًا بعلم الأنساب والسير الذاتية وتاريخ العرب والشعر، فحفظ ديوان الحماسة لأبي تمام عن ظهر قلب، أيضًا أحب الخيول العربية المطهمة، وعرف أنقى سلالاتها دمًا.

❖ أســـــــرتـــــه:

زوجـــــاته:

أشهر زوجاته

- شمسة : زوجته الأولي ومنها أنجب معظم أبنائه
- عصمة الدين خاتون وهى أرملة نور الدين زنكى

أبنـــائه :

إثنى عشر ولدا أشهرهم : الأفضل، عثمان، مسعود، يعقوب، غازى ،داوود وإسحق

❖ صفـــــــــــاته :

- **الشجاعة**: كان شجاعا مقداما في الحروب،
- **الجهاد**: محبا للجهاد في سبيل الله، وكثير الغزو
- **العدل والتسامح** : كان حاكما عادلا، كما عُرف بتسامحه ومعاملته الحسنة لغيره من المسلمين والنصارى
- **العلم**: كان محبا للعلم و للعلماء ويسعى لطلب العلم في جميع المجالات من أدب ولغة، ودين، وتاريخ، وحديث شريف .
- **الزهد**: كان زاهدا في دنياه مقلا في المأكل والملبس،
- **الجود** : جوادا كريما على الفقراء والمساكين بما ملكت يداه ، وعندما مات لم يجد في خزائنه ما يكفى لجنازته
- **التقوى والورع** : كان تقيا ورعا محافظا على صلاة الجماعة، ومحبا للقرآن الكريم، ومحافظا ومداوما على سماع الحديث الشريف .
- **كان رقيق القلب** وسريع الدمعة من خشية الله، ومخلصا في دينه، وصابرا على الطاعة، ووقورا وعاقلا، وحليما قليل الغضب، ونقيا طاهرا
- **الشهامه**: حتى مع أعدائه فعندما أصيب ريتشارد بالحمى، عرض صلاح الدين الأيوبي عليه خدمات طبيبه الشخصي، وأرسل إليه فاكهة مثلجة. وفي أرسوف، عندما فقد ريتشارد جواده، أرسل إليه صلاح الدين الأيوبي اثنين محله.

❖مرحلة ما قبل توليه حكـــم مصـــر:

- إصطحبه عمه أسد الدين شيركوه بن شاذى معه إلى مصر لتمكين الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدى من حكم مصر بعد خلعه من الوزير ضرغام بن عامر ،وايضا لإستطلاع مصر والضعف الذى حل بالدولة الفاطمية فى ذلك الوقت

- شارك فى حرب مع عمه وعمره 26 عام وكان قائد قلب الجيش ضد الفرنجة و الوزير الفاطمى شاور الخائن وكانت المعركة فى صحراء الجيزة وانتصر فيها جيش الشام على الفرنجة وعميله شاور رغم قلة عدد جيش الشام
- كان له دور كبير أثناء حصار الأسكندرية من جيش عمورى الأول ملك بيت المقدس وجيش الفاطميين بقيادة شاور بعدما توجه عمه بالجيش الى الصعيد ،ورغم الحصار ونقص المؤن أثبت صلاح الدين مقدرة كبيرة فى التنظيم الإداري والشحن المعنوى لأهل الأسكندرية لمقاومة الحصار وهذا ماجعله محبوبا من أهلها حتى فك الحصار عام 562 هـ 1167 م
- جهز نور الدين زنكى جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين الى مصر للمرة الثالثة عام 564هـ 1169 م بعد علمه قدوم عموري بجيشه للإستيلاء على مصر و عندما علم عمورى بقدوم جيش الشام انسحب من مصر ،وتم إعدام الوزير شاور بأمر من الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله لخيانته وتعيين أسد الدين كوزير

❖ تأسيس الحـــــكم فى مصـــر:

➤ تـــوليــــه الــــوزارة:

- كان الوزير هو الحاكم الفعلي فى مصر فى تلك الفترة أما الخليفة فهو شيء رمزى فقط ،ولذا عندما تولى أسد الدين شيركوه الوزارة كان الآمر الناهى فى مصر
- تولى صلاح الدين الوزارة بعد شهرين فقط من تولى عمه الوزارة 564(هـ 1169 م) وذلك بموت عمه أسد الدين شيركوه والذى إعتبره صلاح الدين القدوة والمثل فى الشجاعة والإخلاص
- تعرض صلاح الدين لمحاولة إغتيال بعد أشهر من توليه الحكم على يد مؤتمن الخليفة الفاطمى فقبض عليه وأعدم
- ثار 50000 من الزنوج عليه ولكنه قمع ثورتهم
- تمكن صلاح الدين من السيطرة على حكم مصر حتى حراس الخليفة الفاطمى كانوا من أتباعه
- استطاع صلاح الدين صد الحملة الصليبية التى حاصرت دمياط خمسون يوميا 565هـ 1169 م ،وقام بهزيمتهم فى معركة دير البلح 1170 م وفتح قلعة ايلات ودمر مدينة غزة التى تحت حكم الصليبيين
- خطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله في أول جمعة من سنة 567 هـ، الموافق في شهر سبتمبر من سنة 1171م، لتحذو القاهرة كلها حذوه،

➤ توليه حـكم مصــر:

- مات الخليفة العاضد لدين الله عام 1171 م لينتهى حكم الدولة الفاطمية بعد 262 سنة من حكم مصر، وبموته أصبح صلاح الدين الحاكم الفعلى لمصر ونقل أفراد أسرته إلى مصر
- بدأ حكمه بالقضاء على المذهب الفاطمى وتحويل الجامع الأزهر لمدرسة سنيه وبناء المدرسة الناصرية والكاملية لتثبيت المذهب السنى فى مصر على مذهب الإمامين المالكى والشافعى
- كسب حب المصريين بنشر العدل وإلغاء الضرائب والجبايات التى كانت تثقل كاهل الشعب
- حاول كسب ود نور الدين زنكى وعدم الدخول فى صدام معه حتى وفاة نور الدين زنكى 569هـ 1174 م
- قضى على هجوم النوبيين على حدود مصر وطاردهم حتى بلادهم واستولى على قصر ابريم 1173م
- وأغار على بعض معاقل البدو في الصحراء ليحرم الصليبيين من فرصة الاستعانة بمقتفي الأثر أو أدلاء محليين يرشدونهم في حال قرروا مهاجمة مصر أو الأراضي الإسلامية المجاورة لهم
- بلغ صلاح الدين أن رجلا باليمن استولى عليها، وملك حصونها يسمى عبد النبي بن مهدي، سيّر صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن، فقتل ابن مهدي، وأخذ البلاد منه، عندئذ أعلنت الحجاز انضمامها إلى مصر أيضا.

➤ ضـــم الشـــام :

أراد الناصر صلاح الدين أن يوحد مصر والشام ليكونوا قوة أمام الصليبيين وليستطيع تحرير القدس وبلاد المسلمين المحتلة ولكنه إكراما لنور الدين زنكى لم يرد القضاء على حكم ابنه الصالح اسماعيل البالغ 11 عام ،ولكن مع ظهور الأطماع بين الزنكيين ومحاولتهم التخلص من الصالح اسماعيل والإستيلاء على الشام ،قرر التوجه الى الشام بجيشه فبدأ بدمشق وأستلمها من أهلها طواعية نظرا لحبهم الشديد لشخصه، ثم فتح بقية مدن الشام كحماة و حمص وأخيرا حلب تم الصلح عليها بأن يحكمها الملك الصالح تحت سلطة السلطان صلاح الدين بعد حرب شديدة مع الزنكيين عام 1176 م

أعلن صلاح الدين نفسه ملكًا على البلاد التي افتتحها بعد انتصاره على الزنكيين، وخطب له أئمة المساجد يوم الجمعة باسم "الملك الناصر"، وضربت الدنانير الذهبية في القاهرة باسمه وسرعان ما أصبحت سيادة صلاح الدين على البلاد سيادة مشروعة عندما أسند الخليفة العباسي في بغداد إليه السلطة على مصر والمغرب الأدنى والنوبة والحجاز و تهامة وفلسطين وسوريا الوسطى، وخلع عليه لقب "سلطان مصر والشام ،وبذلك حقق الخطوة الأولى نحو تحرير القدس

توسعة الدولة الأيوبية:

- **فتح أطراف بلاد ما بين النهرين:**

ضم مدن الرها تلتها سورج ثم الرقة وقرقيسية ونصيبين ثم ماكسين ودورين وعرابان والخابور عام 578هـ - 1182 م

- **ضم سنجار ديسمبر م1182 وآمد ابريل 1183 م**
- **ضم حلب :**

18 صفر 579 هـ / 12 يونيو 1183 م

وبذلك امتدت الدولة الأيوبية لتشمل مصر وسوريا واليمن والحجاز والعراق واستعد لطرد الصليبيين من بلاد المسلمين

الحملة على الحشاشين :

كان الحشاشون يمتنعون في سلسلة من القلاع والحصون في عدد من المواقع المشرفة الشاهقة في جبال النصيرية، ولما عزم صلاح الدين على إبادة طائفتهم وكسر شوكتهم، أرسل بعض الفرق العسكرية إلى جبالهم، وأعاد ما تبقى من جنود إلى مصر ، وتولى صلاح الدين قيادة الجيش بنفسه، وضرب الحصار على جميع قلاع الحشاشين خلال شهر أغسطس من عام 1176م، لكنه لم يتمكن من فتح أي منها، ففك الحصار وانسحب بجيشه مدمرًا كل المعاقل غير الحصينة التابعة لتلك الطائفة أثناء سيره.

الحروب مع الصليبيين:

- **جمادى الآخر سنة 573 هـ نوفمبر من سنة 1177م، استمر بغزواته على بعض المواقع الثانوية في فلسطين ثم توجه إلى عسقلان، ثم واصل صلاح الدين يغزو المواقع الصليبية الثانوية الواحد تلو الآخر، فهاجم الرملة واللد، وبلغ بوابات القدس.**
- **ربيع الأول سنة 574 هـ(أغسطس سنة 1178م)، هاجمت فرق صليبية أخرى مدينة حماة والقرى المجاورة وقتلت بعض السكان، لكنها هزمت على يد حامية المدينة وأسر كثير من أفرادها، واقتيدوا إلى صلاح الدين الذي أمر بإعدامهم كونهم "عاثوا فسادًا في أرض المؤمنين.**
- **شهر ذي القعدة سنة 574 هـ(أبريل من عام 1179م) تقدم الصليبيون بقيادة الملك بلدوين نحو دمشق متوقعين مقاومة ضعيفة، وشرعوا في مهاجمة القرى والرعاة في مرتفعات الجولان، فتصدت لهم فرقة عسكرية أيوبية بقيادة فروخ شاه، ثم انسحبت من أمامهم، فتعقبوها حتى جنوب شرق القنيطرة حيث كان الجيش الأيوبي منتظرًا، فوقعت معركة كان النصر فيها لصالح الأيوبيين.**
- **26 ربيع الأول سنة 575 هـ (30 أغسطس من سنة 1179م) انقض صلاح الدين علي الصلبيين واشتبك الجيشان في معركة طاحنة انتصر فيها المسلمون، وأسر كثير من كبار الفرسان الصليبيين، ثم تحرك صلاح الدين صوب حصن يعقوب وضرب الحصار عليه، ثم دخله فاتحًا، وكانت ضربة قاصمة للصليبيين**
- **578 هـ - 1183 م سحق القوات التى هاجمت الحجاج فى عيذاب وأحرقوا 16 سفينة للمسلمين فى البحر الأحمر وكانوا ينوون الهجوم على مدينة رسول الله ونبش قبره بقيادة الملعون أرناط صاحب الكرك الذى فر بعد هزيمته**

- ### معركة حطين :

ربيع الآخر سنة 583 هـ يوليو سنة 1187م،، معركة حطين كانت معركة فارقة فى الحروب بين المسلمين والصليبيين وهى التى مهدت لتحرير القدس الشريف

- **السبب المباشر: نقض الصليبيين لعهدهم مع صلاح الدين والإعتداء على قوافل الحجاج ،ولكن صلاح الدين استغل نقضهم للعهود واستعد لتحقيق حلمه بتحرير القدس وطردهم من كل بلاد المسلمين**
- **الإستعداد للحرب: حشد صلاح الدين جيشا يقدر ب 60000 فرد (12000 فارس، 13000 مشاة، 35000 من قوات الإحتياط والمتطوعين) وتم تسليحهم بأحدث الأسلحة وتدريبهم تدريب عالى للغاية**
- **الدعوة للجهاد وتحرير القدس : تم شحن الشعب فى الدولة الأيوبية معنويا وسارع العديد منهم للإنضمام للجيش وكان المسلمين فى شوق لتحرير البلاد المحتلة والقدس الشريف**

- **التخطيط الجيد: تم السيطرة على بحيرة طبرية ومنابع المياه وبذلك تم حرمان الصليبيين من مصادر المياه ،وهذا دفعهم للخروج من تحصيناتهم ومواجهة المسلمين فى سهل حطين ، واختار يوم 4 يوليه وفيه تشتد الحرارة وكان يقوم بمناورات قبل الإشتباك لإنهاكهم وجعلهم يشعرون بالعطش وهذا بالإضافة لطبيعة الرمال الكثيفة وثقل الدروع وأسلحة الصليبيين وثقل الخيول أدى ذلك لإنهاك الجيش الصليبى فإنقض عليه الجيش المسلم وأعمل القتل فيهم ومن تبقى تم أسره ومنهم الملك غي آل لوزينيان وأخوه وأرناط صاحب الكرك وغيرهم من كبار الصليبيين .**
- **عامل صلاح الدين الأسري باللين والرفق الإ أرناط الذي قتله بيده جزاء على مافعله من قتل للحجاج والإستيلاء على قوافلهم**

- **تحرير الساحل الشامي:**

رأى صلاح الدين ألا يتوجه مباشرة لفتح القدس بعد انتصار حطين، وإنما رأى أنه من الأسلم أن يسير لفتح مدن الساحل ومن ثم الهجوم على القدس، ففتح عكا ونابلس وحيفا والناصرة وقيسارية وصفورية ثم فتح قلعة تبنين، ثم بيروت والجبيل وعسقلان ثم غزة وهكذا كان صلاح الدين قد استرجع أغلب ساحل الشام فى ايام قليلة ولم يصمد في وجهه غير مدينتيَ طرابلس وصور وقسمًا من إمارة أنطاكية.

- **فتـــــــح القـــــدس:**

وصل صلاح الدين مدينة القدس يوم الخميس في 11 رجب سنة 583 هـ، (20 سبتمبر سنة 1187م)، من جهة عين سلوان حتى يكون الماء قريب من جيشه وأمر جنده بمحاصرة المدينة في هيئة دائرية، وصلى المسلمين على الجبل الذي حولها يوم الجمعة، وقاد القتال في ذلك اليوم من الصليبيين باليان بن بارزان وانضم إليه الكهنة والشمامسة، وكان ماهرًا في إدارة القتال وتوجيه المقاتلين أمام قوات صلاح الدين، وكان خوفه الأكبر أن يقتل المسلمين كل مسيحيي القدس عند دخولهم كما فعل الصليبيون عندما فتحوا المدينة قبل ما يزيد عن قرن من الزمن، فحث السكان أن يدافعوا عن حياتهم ومقدساتهم حتى الرمق الأخير، وعندما أرسل له صلاح الدين أن يسلم المدينة ويطلب الأمان لم يفعل، وأصر على القتال واستمر في الحرب لمدة 14 يومًا.

اضطر صلاح الدين للتفاوض مع الصليبيين خوفا علي حياة 4000 مسلم فى القدس وعلى الأماكن الإسلامية داخل المدينة وتم العفو كل المسيحيين داخل القدس على أن يتم دفع فدية على كل من فيها مقدارها عشرة دنانير من كل رجل وخمسه دنانير من كل امرأة وديناريين عن كل صبي وكل صبية لم يبلغ سن الرشد، فمن أدى ما عليه في المهلة التي قدرها أربعين يومًا، صار حرًا، ثم سمح صلاح الدين بعد أن انقضت المهلة لمن لم يستطع الدفع منهم بالمغادرة دون فدية،

دخل صلاح الدين المدينة في ليلة المعراج يوم 27 رجب سنة 583 هـ، الموافق فيه 2 أكتوبر سنة 1187م، وأمر بترميم المحراب العمري القديم وحمل منبر مليح من حلب كان الملك نور الدين محمود بن زنكي قد أمر بصنعه ليوضع في المسجد الأقصى متى فتح بيت المقدس، فأمر صلاح الدين بحمله من حلب ونصب بالمسجد الأقصى ،وأزيل ما هناك من آثار مسيحية منها الصليب الذي رفعه الإفرنج على قبة المسجد، وغُسلت الصخرة المقدسة بعدة أحمال ماء ورد وبخرت وفرشت ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية

جاء المسلمين من كل حدب وصوب ليصلوا أول صلاة جمعة بعد تحرير القدس وصلى المسلمين صلاة الشكر وهى أخر صلاة شكر صلاها المسلمون فى إنتظار البطل القادم الذى سيحرر القدس من دنس اليهود.

- **حصار صور وعكا:**

حاصر صلاح الدين قلعة صور لمدة سنة كاملة ولكن نظرا لمنعة أسوارها وكثافة حاميتها من إلتجاء كل الصليبيين الفارين اليها قرر فك الحصار لوقت أخر ،ثم واصل فتح المدن والقلاع ففتح جبلة واللاذقية وحصون صهيون وبكاس والشغر وسرمينية وبرزية ودرب ساك والكرك وكوكب،

حاول الصليبيين الأستيلاء على عكا وحصارها ولكن خطتهم فشلت لتوجه اليهم الجيش والأسطول الأيوبي من مختلف البلاد

- **الحملة الصليبية الثالثة :**
  - **أسبــــــابها :**
  معركة حطين وفتح القدس ، حيث حث البابا غريغوري الثامن ملوك أوروبا على شن حملة صليبية جديدة لاستعادة بيت المقدس،
  - **القادة الصليبيين :**

1. **الإمبراطور الألماني فريدريش بربروسا فشلت حملته في الوصول إلى الشرق، لطول المسافة وحلول الشتاء على الجيش المرتحل ومقاومة بعض أمراء المناطق التي مرت بها الحملة للجيش الغازي وقلة المؤن، إضافة إلى غرق فريدريش بربروسا نفسه في أحد الأنهار بالقرب من أنطاكية.**
2. **ريتشارد الأول (قلب الأسد) ملك إنجلترا**

3- فيليب أغسطس ملك فرنسا

اللذان مولاها بفرض ضريبة خاصة عرفت بعشور صلاح الدين وانضما إلى حصار عكا، التي سقطت في عام 587 هـ، الموافق لعام 1191م، أمام القوات التي يقودها ريتشارد، وأعدم فيها ثلاثة آلاف سجين مسلم منهم نساء وأطفال.

استمرت الحروب بين المسلمين والصليبيين لمدة سنة لم يتمكن منها الصليبيين من تحقيق أى هدف للحملة وتكبدوا خسائر فادحة كان على أثرها أن طلب الصليبيين الصلح وتم ذلك فى 20 شعبان سنة 588 هـ (1 سبتمبر سنة 1192م)، لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر تبدأ من ذاك التاريخ، التي بموجبها تنحصر مملكة بيت المقدس الصليبية في شريط ساحلي ما بين يافا وصور، وتظل القدس في أيدي المسلمين مع السماح للمسيحيين بالحج إليها.

- نتـــائجـــها :

فشلت الحملة على تحقيق أى أهدافها وتمكن المسلمون من استعادة بيت المقدس وغالبية الأراضى المحتلة ماعدا جزء بسيط سيتم إسترجاعه فى عهد خلفاء صلاح الدين.

❖ أعـــــمـــــاله:

- ❖ تحصين القاهرة وإعادة بناء أقسامها المهدمة، فأقدم على إصلاح أسوارها وإمداد المزيد منها
- ❖ شرع في بناء قلعة القاهرة سنة 573 هـ التي عرفت فيما بعد بقلعة صلاح الدين
- ❖ بئر يوسف البالغ من العمق 85 مترًا (280 قدمًا).
- ❖ بناء جسر ضخم في الجيزة ليشكل إحدى خطوط الدفاع الأولية ضد غزو مغربي محتمل.
- ❖ أنشأ بضعة مدارس لنشر العلم والمذهب السنى المالكى و الشافعى
- ❖ واهتم بالمؤسسات الاجتماعية التي تساعد الناس وتخفف عنهم عناء الحياة، وتعهد بالإنفاق على الفقراء والغرباء الذين يلجؤون للمساجد للعيش فيها، وجعل من مسجد أحمد بن طولون في القاهرة مأوى للغرباء الذين يأتون إلى مصر من بلاد المغرب

❖ وفـــــاتـــــه :

توفي صلاح الدين فجر يوم الأربعاء في 4 مارس سنة 1193م (27 صفر سنة 589 هـ) فأفجع موته المسلمين عمومًا والدمشقيين خصوصًا، وبكاه الكثيرون عند تشييعه وقيل إن العاقل حتى كان ليخيل له أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا من شدة البكاء، وغشي الناس ما شغلهم عن الصلاة عليه، وتأسف الناس عليه حتى الفرنج لما كان من صدق وفائه،

ودفن بعد صلاة عصر ذلك اليوم في المدرسة العزيزية قرب المسجد الأموي في دمشق، إلى جوار الملك نور الدين زنكي، وعندما فتحت خزانته الشخصية لم يكن فيها ما يكفي من المال لجنازته، فلم يكن فيها سوى سبعة وأربعين درهمًا ناصريًا ودينارًا واحدًا ذهبًا، ولم يخلف ملكًا ولا دارًا، إذ كان قد أنفق معظم ماله في الصدقات.

المـــــــــراجع:

- بهاء الدين بن شداد (2002). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .
- العماد الأصفهاني (1888).
- ابن الأثير (2008). الكامل في التاريخ. دار التوفيقية للطباعة.
- ابن كثير (2008). البداية والنهاية. دار التوفيقية للطباعة.
- فيات الأعيان وانباء أبناء الزمان/ابن خلكان/الجزء السابع دار صادر بيروت 1994
- المصـور في التـاريخ، الجـزء السـادس. تـأليف: شـفيق جحـا، مـنير البعلبكـي، بهـيج عثمـان، دار العلـم للملايـين، بيروت.

7- سيف الدين قطز

❖ مــــولده ونســــــبه:

❖ مولـــده:

ولد قطز أو الأمير محمود بن ممدود الخوارزمي في أسرة ملكية بمملكة خوارزم شاه بفارس عام 1221 م , والده الأمير ممدود ابن عم السلطان جلال الدين الخوارزمى سلطان الدولة الخوارزمية فى أواخرها، ووالدته جهان خاتون أخت السلطان جلال الدين الخوارزمى.

❖ نشـــأته :

استشهد والده الأمير ممدود وكان شجاعا ونافذ الرأى والبصيرة في حروب الدولة الخوارزمية مع التتار وترك ابنه رضيعا لم يتم عامه الأول ، ونشأ في كفالة خاله السلطان جلال الدين نشأة الأمراء وتدرب على فنون القتال ، وكان اسمه وقتها محمود ، ثم دارت الدائرة على مملكة جلال الدين وقضى التتار عليه وعلى ملكه،

وأسر الأمير محمود وبيع عبدا في السوق لثري من أثرياء الشام وكان يدعى غانم المقدسي فرباه الثري وأحسن تربيته، فتعلم اللغة العربية وأصولها، وحفظ القران الكريم ودرس الحديث،

وبعد موت الثري أصبح قطز مملوكا لابن الثري، ولم يجد منه عناية وحسن تعامل، فبيع قطز لثري آخر من أثرياء الشام، وهو ابن الزعيم وكان هذا الثري مدخلا لقطز لدخول الحياة السياسية والجهاد ضد الصليبيين،

فهذا الثري كان من أكبر معاوني العالم العز بن عبد السلام، فتربى قطز تربيه جديدة، وجاءت الحروب الصليبية على الشام ومن ضمنها دمشق، وعندما تخلى الصالح إسماعيل عن جهاد الصليبيين وهادنهم، نهض الملك الصالح نجم الدين أيوب للدفاع عن المسلمين،

فاشترك قطز من ضمن المدافعين من أهل دمشق مع الجيش المصري، وكان له دور مع بقية أهل الشام في انتصار المسلمين على الصالح إسماعيل وأعوانه من الصليبيين.

ثم طلب قطز من سيده أن يبيعه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ليندرج تحت سلك ممالكه، ووافق سيده على بيعه، وبعد أن بيع قطز إلى الملك الصالح عهد به إلى الأمير المملوكي عز الدين أيبك، فتربى قطز مثل باقي المماليك حيث يتم الحاقهم بمدرسة المماليك،

وتم تعليمهم اللغة العربية قراءة وكتابة، ثم حفظ القران الكريم ومباديء الفقة الإسلامي، ثم فنون القتال من الرمي بالسهام والقتال بالسيوف، وركوب الخيل ووضع الخطط الحربية والتصرف في أمور الدولة،

وقد ساعدت التربية الإسلامية والقتالية لقطز في سن الطفولة والشباب في قصر خاله السلطان جلال الدين حيث تولى تربيته بعد وفاة أبيه، في تفوق قطز على أقرانه من المماليك الذين اشتراهم الملك الصالح،

فقد نشأ قطز على كراهية المغول وسمع وشاهد القتال والمعارك التي قادها خاله وأبوه في بلاد الخوارزميين.

زوجـــــته وأولاده:

تزوج قطز زوجة واحدة وهى إبنة خاله السلطان جلال الدين الخوارزمى وتدعى جهاد وبعد إختطافها وبيعها كأمة سميت جلنار وأصبحت وصيفة للسلطانة شجرة الدر ،وتزوجها وأنجب منها إبنتان ولم يكن له أولاد ذكور ، أستشهدت السلطانة جهاد في معركة عين جالوت.

❖ صفاته وخصائصه

- بُنيته الجسدية:

  كان رجلا أشقر اللون ،جميل الطلعة، أبيض تام البنيان، كثيف اللحية

- أخــــــلاقــــه:

  - الشجاعة : كان شجاعا مقداما في الحروب، تعلم فنون القتال في قصر خاله السلطان جلال الدين منذ صغره
  - عبقريته الحربية: إستطاع في خلال عشرة أشهر فقط تجهيز الجيش المصرى بأحدث المعدات العسكرية، وأنشأ المصانع الحربية لصنع السلاح ،وقوى الموانى والقلاع ووضع خطة محكمة وهى نفس الخطة التى انتصر بها المسلمين في موقعة نهاوند على الفرس، وأفنى الجيش التتاري وبعدها إنهارت الدولة التتارية
  - الجهاد: محبا للجهاد في سبيل الله، عاش طيلة عمره لهدف واحد وهو قتال التتار و الإنتصار عليهم
  - العدل والتسامح : كان يحكم بين رعيته بالعدل ، لم يفرض ضريبة للقتال على شعبه الا بعدما أخذ أموال الأمراء المماليك ، وعفا عن قاتليه من الأمراء المماليك بل ولى أحدهم (بيبرس) حكم مصر
  - الزهد: كان زاهدا تبرع بكل أمواله لتجهيز الجيش الإسلامى في حربه ضد التتار ،

- سياسي بارع : إستطاع أن يجمع الأمراء المتحاربين والمختلفين مع بعضهم البعض في جيش واحد لقتال التتار وتواصل مع الأمراء الأيوبيين فى الشام وحمص على الرغم من طمعهم فى حكم مصر

- التقوى والورع : تربى كتلميذ للشيخ العظيم العز ابن عبد السلام الذى بكاه بعد إستشهاده وقال قولته الشهيرة:
(رحم الله شبابه لو عاش طويلا لجدد شباب الإسلام، رحمه الله ماولى أحد أمر المسلمين من بعد عمر بن عبد العزيز من يعادله صلاحا وتقوى)

❖ ماقبل توليه السلطة :

❖ انضم إلى مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي كان يكثر من شراء المماليك ويضمهم إلى جيشه ويربيهم على الولاء لجيشه، ثم عهد به إلى أحد مماليكه وهو الأمير عز الدين أيبك ،
ولأن قطز من أصول ملكية في الدولة الخوارزمية وقد تعلم فيها فنون القتال، وشاهد المعارك والحروب التي دارت بين قومه وبين التتار المغول، فقد ساعده ذلك كله في ترقيته في صفوف المماليك الصالحية البحرية، وارتقى بسرعة حتى أصبح الساعد الأيمن لأمير جند السلطان الأمير عز الدين أيبك، الذي كان له دور هام في الأحداث السياسية في مصر والبيت الأيوبي،
جاء قطز إلى مصر وقد تكون فيها جيش قوي عظيم من المماليك البحرية، الذي تصدى لكل المحاولات الخارجية لغزو مصر وأهمها الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك لويس التاسع،
وقد أظهرت معركة المنصورة قوة المماليك العسكرية والتخطيطية في إدارة المعارك،

❖ شارك قطز جيش الملك الصالح في صد الحملة الصليبية السابعة، وتمثلت شجاعة المماليك في الانتصار الكبير الذي حققوه في معركة المنصورة عام 648 هـ الموافق 1250 والتي أسر فيها الملك لويس التاسع قائد الحملة.

❖ توفى الملك الصالح أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وتولى إبنه توران شاه الحكم ولكن سرعان ما قتله المماليك لسوء معاملته لهم ومحاولته التخلص منهم بالإضافة لسوء خلقه وإدمانه الخمر

❖ بعد قيام المماليك البحرية بقتل سلطانهم توران شاه أصبح هناك فراغ في الحكم، حيث لايوجد بديل من أسرة بني أيوب لحكم مصر، وعليه اختار أمراء المماليك ومن بينهم قطز زوجة سيدهم شجر الدر ملكة على الديار المصرية، وأخذت البيعة للسلطانة الجديدة في شهر صفر 648 هـ الموافق مايو 1250، وما إن تولت مقاليد الحكم حتى لاقت الرفض من الخليفة العباسي في بغداد، وقام العلماء يندددون بتنصيبها في المنابر، وتفجرت الثورات في العالم الإسلامي، فما كان من شجر الدر إلى التنازل بالحكم لأحد أمراء المماليك البحرية، بعد أن حكمت مصر ثمانين يوم

❖ بعد أن قررت شجر الدر التنازل عن الحكم، اختارت عز الدين أيبك التركماني الصالحي خليفة لها في الحكم بعد زواجها منه، وقد وافق أمراء المماليك وقطز أحدهم على اختيار أيبك كأول سلاطين الدولة المملوكية، وقد شارك قطز السلطان أيبك في هزيمة الأيوبيين بقيادة الملك الناصر في معركة عند بلدة العباسة بين الصالحية وبلبيس،

□

❖ وعندما دب الخلاف بين عز الدين أيبك وفارس الدين أقطاي، قرر أيبك إنشاء فرقة من المماليك عرفوا فيما بعد بالمماليك المعزية نسبة إلى لقب عز الدين أيبك الملك المعز، وعين مملوكه قطز المعزي نائبًا للسلطنة في مصر، ولما أحس أيبك بخطر الأمير أقطاي وخطر فرقته المماليك البحرية، خشي أيبك على حياته بعد أن وصلته أخبار عن عزم أقطاي اغتياله، فدبر أيبك خطة لاغتيال أقطاي بمساعدة نائبه قطز وبعض مماليكه المعزية، واستدعى أيبك غريمه أقطاي للمثول أمامه في القلعة لاستشارته في بعض الأمور، وفي الميعاد المحدد حضر أقطاي إلى القلعة ومعه عدد من مماليكه، ودخل باب القلعة المؤدي لقاعة العواميد، وتم اغلاق الباب ومنعت المماليك البحرية من الدخول، وبسرعة انقض عليه الأمير قطز ومن معه من المماليك المعزية وقتلوه بالسيوف.

❖ ثم وقع الخلاف بين أيبك وزوجته شجر الدر بسبب تمرده عليها وعدم اشراكها في حكم مصر، وبسبب تخلصه من المماليك البحرية، ومما زاد الأمر سوءًا عزم أيبك الزواج من ابنة ملك الموصل بدر الدين لؤلؤ، فعزمت شجر الدر على قتل أيبك، وكان لها ما أرادت، وقتل خمسة من غلمانها أيبك وهو في الحمام وكان ذلك في 655 هـ الموافق 1257، وبعد انتشار خبر وفاة الملك المعز، حاولت شجر الدر اخفاء

واقعة القتل حيث ادعت أن أيبك وقع من فوق جواده، إلا أن مماليك السلطان المعز بقيادة الأمير قطز كشفوا حقيقة قتلها للسلطان، وقرروا قتلها

❖ صمم المماليك المعزية وعلى رأسهم سيف الدين قطز على أن يقيموا على العرش الذي بات شاغرا بمصرع أيبك صبيا صغيرا في الخامسة عشر من عمره وهو نور الدين علي ابن سيدهم عز الدين أيبك، وتم ذلك في 655 هـ الموافق 1257 ولقبوه الملك المنصور علي،وقد رفض بعض المماليك الاعتراف بالسلطان الصغير، وتجسد رفضهم في عدة اضطرابات عاصفة، استنجدت بعض الفئات المتنازعة بملوك بني أيوب في الشام، وحاول المغيث عمر صاحب إمارة الكرك غزو مصر مرتين، ولكن الفشل حالفه في المرتين، وكانت كل هذه الاضطرابات فرصة جيدة ومناسبة لظهور نجم سيف الدين قطز، فبعد أن عزم المماليك الصالحية داخل مصر الانقلاب على المماليك المعزية وقائدهم قطز وحاولوا تنصيب الأتابك سنجر الحلبي سلطانا لمصر، سارع قطز في اعتقاله وحبسه في سجن القلعة،وتطورت الأمور بهروب الكثير من المماليك المعارضين إلى الشام، فطاردهم قطز وقبض على الكثير منهم، وسجنهم في سجون القلعة.

❖ استقرت الأمور نسبيا لقطز في مصر فصار نائب السلطان، وصار المدبر والحاكم الفعلي لمصر حيث أن السلطان الجالس على العرش طفل صغير، وكان جلوس السلطان الصبي على العرش مسألة قصد بها كسب الوقت حتى يتمكن واحد من كبار المماليك من حسم المسأله لطرفه، ولم يشأ قطز أن يتعجل الأمور بحسم أمر السلطة له ومواجهة المنافسين بعد وفاة عز الدين أيبك، فأمسك بزمام السلطة الفعلية تاركا للسلطان الصبي شعار السلطنة ولقبها، ثم بدأ قطز بترتيب الأوضاع الداخلية لصالحه، في حين كانت الشائعات تملأ سماء القاهرة بأن السلطان الصغير يريد خلع قطز مملوك أبيه، واجتمع الأمراء في بيت أحد كبارهم وتكلموا إلى أن نجحوا في إصلاح الأمور بين الملك المنصور علي وبين مملوك أبيه الأمير قطز، وبذلك توطدت مكانة سيف الدين قطز في الدولة.

❖ في الوقت نفسه كانت الأحوال متردية بسبب الفتن التي أثارتها طوائف المماليك في القاهرة، كما كان خطر محاولات الغزو الفاشلة التي قام بها المغيث عمر في 655 هـ الموافق 1257، وفي سنة 656 هـ الموافق 1258، تقلق بال قطز، حيث خرج في المرتين للقاء المماليك البحرية وحليفهم الأيوبي، واستطاع القضاء على الخطر الأيوبي، فواصل قطز ترتيب أمور المملكة من الداخل بعد أن واجه الخطر الخارجي، فقبض على جماعة من الأمراء لميلهم للملك المغيث عمر، وبذلك استتب الأمر لقطز.

☐

❖ توليــــيه الحـــــكم:

☐

بعد قرابة ثلاث سنوات من حكم نور الدين علي بن أيبك مصر، بدأ صدى طبول الحروب التتارية يتردد على حدود مصر، واقتربت رياح الغزو التتري لبلاد الشام ومصر، ولم يكن بوسع السلطان الصبي نور الدين علي أن يفعل شيئا إزاء خطر التتار الداهم والقريب، الذي كان يقضي وقته في ركوب الحمير والتنزه في القلعة، واللعب بالحمام مع الخدم، ومع كل خبر جديد يصل عن وحشية التتار كانت الأحوال في مصر تزداد اضطرابا، ومع اقتراب جحافل التتار من الشام أرسل الملك الناصر رساله حملها المؤرخ والفقيه كمال بن العديم إلى مصر يستنجد بعساكرها، ولما قدم ابن العديم إلى القاهرة عقد مجلس في القلعة حضره السلطان الصبي المنصور نور الدين علي، وحضره كبار أهل الرأي من العلماء والقضاه مثل قاضي القضاة بدر الدين حسن السنجاري، والشيخ العز بن عبد السلام، وكان من بين الحاضرين سيف الدين قطز، وكان هذا الاجتماع آخر خطوات قطز نحو وصوله لعرش مصر وقتال التتار، فقد استغل قطز اجتماع القلعة لخلع السلطان الصبي، وأخذ في الاجتماع يتحدث عن مساويء المنصور علي وقال«لابد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو، والملك الصبي لايعرف تدبير الملك»، وساعد قطز في الوصول لهدفه أن مساويء السلطان المنصور علي كانت قد زادت حتى انفض الجميع من حوله، واستهتر في اللعب وتحكمت أمه في أمره فاضطربت الأمور، وانتهز قطز الفرصة المناسبة عندما خرج أمراء المماليك البحرية والمعزية في رحلة صيد في منطقة العباسية في الشرقية وعلى رأسهم الأمير سيف الدين بهادر والأمير علم الدين سنجر الغتمي، وكان ذلك في يوم السبت 24 ذو القعدة 657 هـ الموافق 1259، وقبض قطز على السلطان المنصور علي وعلى أخيه قاقان وعلى أمهما، واعتقلهم في أحد أبراج القلعة، وفي هذا اليوم انتهت مدة حكم السلطان المنصور علي والتي استمرت سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

❖ توضيد الحــــكم:

- جمع الأمراء وكبار القادة وكبار العلماء وأصحاب الرأي في مصر، وكل هؤلاء كانوا من المحركين الفعليين لطوائف شعب مصر المختلفة، وقال لهم أن سبب توليه الحكم هو مواجهة العدو: «إني ماقصدت إلا أن نجتمع على قتال التتار، ولا يأتي ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو، فالأمر لكم في السلطنة ماشئتم»

- أرسل المنصور علي وأخاه وأمه إلى دمياط واعتقلهم في برج بناه هناك واطلق عليه اسم برج السلسلة، ثم نفاهم جميعا بعد ذلك إلى القسطنطينية،
- قام قطز بالقبض على رؤوس الفتنة الذين حاولوا أن يخرجوا على حكمه وسلطته وهم: الأمير علم الدين سنجر الغتمي، والأمير عز الدين أيدمر النجيبي الصغير، والأمير شرف الدين قيران المعزي، والأمير سيف الدين الدود خال السلطان المنصور علي بن المعز، والطواشي شبل الدولة كافور، والطواشي حسام الدين بلال المغيثي الجمدار، واعتقلهم ووضعهم في سجن القلعة، وهكذا تمكن من التخلص من رؤوس المعارضة،
- إختيار أركان دولته وتوطيد دعائم دولته : بدأ بتغيير الوزير ابن بنت الأعز، وولى بدلا منه زين الدين يعقوب عبد الرفيع بن يزيد بن الزبير، وأقر الأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحي المعروف بالمستعرب أتابكا، وفوض إليه بجانب زين الدين يعقوب تدبير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الجهاد والاستعداد للحرب ضد التتار
- كتب إلي الناصر صلاح الدين يوسف حاكم دمشق وحلب خطابا رقيقا حاول فيه تجنب المواجهه معه، وأقسم قطز بالأيمان أنه لا ينازع الملك الناصر في الملك ولا يقاومه، وأكد له أنه نائبا له في مصر، ومتى حل بها أقعده على كرسي العرش، وقال: «وإن اخترتني خدمتك، وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك، فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت لك العساكر صحبة من تختاره»

❖ <u>الإعداد لمواجهة التتار ومعركة عين جالوت:</u>

أستعد قطز للتتار بعد توضيد دعائم حكمه داخل مصر وإستقرار الأمور الداخلية بها وأخذ يواجه المشاكل الأخرى:

➢ تقوية دعائم جيشه:

إصداره لعفو عام وشامل عن المماليك البحرية الذين فروا إلى الشام بعد مقتل زعيمهم فارس الدين أقطاي وكانت هذه الخطوة أبرز قرار سياسي اتخذه قطز، فقوات المماليك المعزية لا تكفي لحرب التتار، وكانت المماليك البحرية قوة عظيمة وقوية، ولها خبرة واسعة في الحروب، فإضافة قوة المماليك البحرية إلى المماليك المعزية المتواجدة في مصر ستنشيء جيشا قويا قادرا على محاربة التتار، وكان من نتائج هذه الخطوة عودة القائد ركن الدين بيبرس إلى مصر، فاستقبله قطز استقبالا لائقا، وعظم شأنه وأنزله دار الوزارة، وأقطعه قليوب وماحولها من القرى، وجعله في مقدمة الجيوش في معركة عين جالوت.

➢ تمويل الجيش المحارب:

كان لابد من تجهيز الجيش المصري وإعداد التموين اللازم له، وإصلاح الجسور والقلاع والحصون، وإعداد العدة اللازمة للحرب، وليس هناك من الأموال ما تكفي لتأمين كل ذلك، فقام قطز بدعوة مجلسه الاستشاري ودعا إليه سلطان العلماء العز بن عبد السلام،

اقترح قطز أن تفرض ضرائب لدعم الجيش، ولكن هذا القرار يحتاج فتوى شرعية، لأن المسلمين في دولة الإسلام لا يدفعون إلا الزكاة، عندها أفتى العز بن عبد السلام وقال: «إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم كله قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص ـ وهي حزام الرجل وحزام الدابة المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه، ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ الأموال من العامة، مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا».

وقد بين العز بن عبد السلام بأنه لا يجوز فرض ضرائب إلا بعد أن يتساوى الوزراء والأمراء مع العامة في الممتلكات، ويجهز الجيش بأموال الأمراء والوزراء، فإن لم تكفي هذه الأموال جاز هنا فرض الضرائب على الشعب بالقدر الذي يكفي لتجهيز الجيش،

قبل سيف الدين قطز فتوى العز بن عبد السلام وبدأ بنفسه وباع كل ما يملك وأمر الوزراء والأمراء أن يفعلوا ذلك، فانصاع الجميع وامتثلوا أمره، فقد أحضر الأمراء كافة ما يملكون من مال وحلي نسائهم وأقسم كل واحد منهم أنه لا يملك شيئا في الباطن، ولما جمعت هذه الأموال ضربت سكا ونقدا وأنفقت في تجهيز الجيش،

ولكن لم تكفي هذه الأموال في تغطية نفقة الجيش، فقرر قطز إقرار ضريبة على كل رأس من أهل مصر والقاهرة من كبير وصغير دينارا واحدا، وأخذ من أجرة الأملاك شهرا واحدا، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة

أموالهم معجلا، وأخذ من الترك الأهلية ثلث المال، وأخذ من الغيطان والسواقي أجرة شهر واحد، وبلغ جملة ما جمعه من الأموال أكثر من ستمائة ألف دينار.

- **خطة المعركة:**

اجتمع قطز مع مجلسه العسكري لبحث أفضل طريقة لحرب التتار، وعبر عن عزمه الخروج بجيش مصر لملاقاة التتار في فلسطين بدلا من أن ينتظرهم في مصر، وبعد نقاش طويل دار في المجلس العسكري، أقرت خطة سيف الدين قطز في السير إلى فلسطين، وفي أثناء تجهيز الجيش قام قطز بجهود حثيثة لتمهيد طريق الجيش للقاء التتار، فقد كانت هناك أجزاء من فلسطين وساحل البحر الأبيض المتوسط محتلة من قبل الإمارات الصليبية، ومنها إمارات عكا وحيفا وصور وصيدا واللاذقية وأنطاكية، وكانت أقوى هذه الإمارات الصليبية هي إمارة عكا، وهذه الإمارة تقع على طريق قطز وجيشه إذا أراد أن يحارب التتار في فلسطين، كان التفكير في أن قتال الصليبيين في عكا سيؤثر سلبا على جيش الإسلام في مصر المتوجه لفلسطين، وفي نفس الوقت لا يستطيع قطز أن يحارب التتار في فلسطين دون الانتهاء من مشكلة الصليبيين في عكا، وجد قطز أن أفضل الحلول هو الإسراع بعقد معاهدة مع الصليبيين في عكا قبل أن يتحالف التتار معهم.

قام قطز بإرسال سفارة إلى عكا للتباحث حول إمكانية عقد معاهدة سلام مؤقتة بين المسلمين والصليبيين، كان الهدف من المعاهدة هي تحييد جيش الصليبيين من جهه، وتأمين ظهر جيش مصر من جهة أخرى، جلس وفد قطز مع الأمراء الصليبيين للتباحث في أمر الهدنة.

- **معركة غزة**

بدأ جيش المسلمين في مصر بالتجمع في منطقة الصالحية (تقع الآن في محافظة الشرقية)، وهي منطقة صحراوية واسعة تستوعب الفرق العسكرية المختلفة، ثم توجه قطز بجيشه إلى سيناء، ثم سلك طريق الساحل الشمالي لسيناء بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط، كان هذا التحرك في أوائل شعبان 658 هـ / يوليو 1260م، كان قطز يتحرك على شكل الخطة التي سيواجه التتار بها، حيث أنه لا يتحرك إلا وقد رتب جيشه بالترتيب الذي سيقاتل به العدو لو حدث قتال، وقد وضع على مقدمة جيشه ركن الدين بيبرس ليكون أول من يصطدم بالتتار، وكان سيف الدين قطز قد سلك في ترتيب جيشه خطة جديدة، حيث كون في مقدمة الجيش فرقة كبيرة نسبيا على رأسها بيبرس، وجعل هذه الفرقة تتقدم كثيرا عن بقية الجيش التي تسير خلفها، وتظهر نفسها في تحركاتها، بينما يتخفى بقية الجيش في تحركاته، فإذا كان هناك جواسيس للتتار اعتقدوا أن مقدمة الجيش هي كل الجيش، فيكون استعدادهم على هذا الأساس، ثم يظهر بعد ذلك قطز على رأس الجيش الأساسي، وقد فاجأ التتار الذين لم يستعدوا له.

اجتاز بيبرس سيناء في 15 رجب 658 هـ / 26 يوليو 1260م، ودخل فلسطين وتبعه قطز بعد ذلك في سيره، واجتازوا رفح وخان يونس ودير البلح واقتربوا من غزة التي احتلها التتار في اجتياحهم للشام، اكتشفت عيون التتار مقدمة الجيش الإسلامي، واعتقدوا أن هذا هو جيش المسلمين كله، ونقلت الأخبار إلى حامية غزة التترية، وأسرعت الحامية التترية للقاء بيبرس، وتم بينهما قتال سريع، جرى هذا القتال وجيش قطز الرئيسي ما زال يعبر حدود سيناء متوجها إلى غزة، وكانت مقدمة الجيش بقيادة ركن الدين بيبرس مقدمة قوية وقائدها قائد بارع، والحامية التترية في غزة صغيرة نسبيا، وجيش المغول الرئيسي بقيادة كتبغا على مسافة كبيرة من غزة حيث يربض في سهل البقاع، فتم اللقاء في غزة بمعزل عن الجيوش الرئيسية للمسلمين والتتار، واستطاعت مقدمة جيش المسلمين أن تنتصر في هذه الموقعة الصغيرة، التي قتل فيها بعض جنود الحامية التترية، وفر الباقون في اتجاه الشمال لينقلوا الأخبار إلى كتبغا.

- **معاهدة عكا**

بعد معركة غزة توجه قطز بجيشه شمالا وبحذاء البحر فمروا بعسقلان ثم يافا ثم مروا بغرب طولكرم، ثم حيفا، وواصلوا الاتجاه شمالا حتى وصلوا عكا التي وقعوا فيها مع الصليبيين معاهدة سلام مؤقتة.

كان الصليبيين يخافون ألا يظفروا من المسلمين بعهد فيتقلب عليهم المسلمين، ولذلك تقبلوا فكرة الهدنة بسرعة، وقبل الطرفان فكرة الهدنة المؤقتة، وأصر الوفد المسلم على أن تكون هذه الهدنة هدنة مؤقتة تنتهي بانتهاء حرب التتار، ومما اتفق عليه في الهدنة أن أي خيانة تحصل من قبل الصليبيين فسيترك المسلمين قتال التتار ويتوجهون إلى عكا لتحريرها، وأنه في حال انتصار المسلمين في قتال التتار فسيبيع المسلمون خيول التتار من أهل عكا بأسعار زهيدة، في حين تعهد الصليبيين في عكا بأن يسهموا في إمداد جيش المسلمين بالمؤن والطعام أثناء تواجده في فلسطين.

وخيم قطز مع الجيش الإسلامى فى عكا عدة أيام، وأشار إليه بعض أمرائه بالهجوم على حصن عكا وتحرر المدينة بعد قرن ونصف من الاحتلال، وكان رد قطز: «نحن لا نخون العهود»،ثم اتجه من عكا إلى الجنوب الشرقي منها، ليبحث عن مكان يصلح للمعركة مع التتار،

في هذه الأثناء كان كتبغا قائد جيش التتار قد وصلته فلول جيشه الهارب من معركة غزة فأخبروه بسقوط غزة، واتخذ كتبغا قراره بأن يتوجه بسرعة لملاقاة قطز، تحرك كتبغا من سهل البقاع باتجاه الجنوب حتى دخل فلسطين من شمالها الشرقي غرب الجولان عبر نهر الأردن، ووصل إلى الجليل الشرقي، واكتشفت استطلاعات جيش قطز حركة كتبغا، ونقلت له الأخبار بسرعة فغادر عكا في اتجاه الجنوب الشرقي، ثم أسرع باجتياز الناصرة، وتعمق أكثر في الجنوب الشرقي حتى وصل منطقة تعرف باسم سهل عين جالوت التي تقع تقريبا بين مدينة بيسان في الشمال ومدينة نابلس في الجنوب.

وفي يوم الجمعة 25 رمضان 658 هـ / 3 سبتمبر 1260م، رتب قطز جيشه واستعد للمعركة، وما إن أشرقت الشمس حتى أتى جيش التتار لسهل عين جالوت من الشمال، كان الجيش يختبيء خلف التلال، وكانت مقدمة الجيش بقيادة ركن الدين بيبرس لا تخفي نفسها، وكان الهدف من هذه الخطة حتى يعتقد جواسيس التتار أن هذه المقدمة هي كل الجيش، وبدأت مقدمة الجيش في النزول من أحد التلال لسهل عين جالوت، وبعد أن نزلت مقدمة جيش المسلمين بقيادة ركن الدين بيبرس بدأت فرقة عسكرية مملوكية في الظهور على أرض المعركة وانطلقت بقوة تدق طبولها وتنفخ أبواقها وتضرب صنوجها النحاسية، وكانت هناك ضربات معينة للميمنة وضربات معينة للميسرة وضربات معينة للقلب، وكانت هناك ضربات محددة للتقدم والتأخر، وضربات خاصة لكل خطة عسكرية، وبذلك استطاع قطز أن يقود المعركة عن بعد، ووقف ركن الدين بيبرس بقواته على المدخل الشمالي لسهل عين جالوت، بينما ترك السهل بكامله خاليا من خلفه.

- **قرر كتبغا أن يدخل بكامل جيشه وقواته لقتال مقدمة الجيش (وهذا ما خطط له قطز)، وأعطى كتبغا إشارة البدء لقواته بالهجوم على المقدمة التي ظن أنها كل الجيش، فتقدمت أعداد هائلة من فرسان التتار باتجاه مقدمة الجيش، وقف ركن الدين بيبرس وجنوده في أماكنهم حتى اقتربت منهم جموع التتار، عندها أعطى بيبرس لجنوده إشارة بدأ القتال، فانطلقوا باتجاه جيش التتار، وارتفعت سحب الغبار من المعركة وتعالت أصوات دقات الطبول، واحتدم القتال للحظات، وثبتت مقدمة الجيش في القتال وكانت مكونة من خيرة فرسان المماليك، قرر كتبغا استخدام كامل قواته لقتال مقدمة الجيش بعد أن رأى منهم الثبات في القتال، دون أن يترك أي قوات للاحتياط خلف جيش التتار، استمر القتال سجالا على الرغم من الفجوة العددية الكبيرة بين القوتين، ثم دقت الطبول دقات معينة وهي عبارة عن أوامر من قطز إلى بيبرس بسحب التتار إلى داخل سهل عين جالوت، بدأ بيبرس على الفور في تنفيذ الأوامر، فأظهر للتتار الانهزام وتراجع بظهره وهو يقاتل، عندما رأى كتبغا تراجع المسلمين أمر جنده بتتبعهم والقضاء عليهم، وبدأ جيش التتار في دخول سهل عين جالوت للضغط على الجنود الذين انسحبوا، وبعد مدة من الزمن ليست بالقليلة دخل جيش التتار بأكمله داخل سهل عين جالوت، وانسحب ركن الدين بيبرس بجنوده إلى الناحية الجنوبية من السهل، ولم يترك كتبغا قوات احتياطية خارج السهل لتؤمن طريق العودة في حال الخسارة ولتمنع التفاف جيش المسلمين حول التتار.**

في هذا الوقت نزل جيش المسلمين الرئيسي بقيادة قطز من خلف التلال إلى ساحة المعركة، وأسرعت فرقة قوية من المماليك لغلق المدخل الشمالي لسهل عين جالوت، وبذلك أحاطت قوات جيش المسلمين بالتتار من كل جانب، وبدأ صراع لا مجال فيه للهرب أو المناورة، وبدأ التتار يقاتلون بكل شجاعة، وظهر تفوق الميمنة في جيش التتار، فتراجع المسلمين تحت ضغط بسالة التتار، حيث اخترقوا ميسرة المسلمين، وبدأ تساقط الشهداء في جيش المسلمين، كان قطز في هذه الأثناء في مكانٍ عالٍ خلف الصفوف يراقب الوضع، ويوجه فرق الجيش لسد الثغرات، ولما رأى معاناة ميسرة الجيش دفع بقوة احتياطية لمساندتها، ولكن هذه القوة لم تغير في الأمر شيئا أمام بسالة وقوة ميمنة التتار، ثم دفع بقوة احتياطية أخرى، ولكن الموقف تأزم بشكلٍ أكبر، عندها قرر قطز أن ينزل بنفسه لأرض المعركة، فرمى خوذته وأخذ يصرخ «وإسلاماه... وإسلاماه»،

واحتدم القتال في سهل عين جالوت، وكان فيه أن صوب أحد التتار سهمه نحو قطز، فأخطأه وأصاب فرسه وقتل الفرس، واستمر القتال وقطز في أرض المعركة يقاتل، وبدأت الكفة تميل لصالح المسلمين، وارتد الضغط على التتار، وتقدم أمير من أمراء المماليك واسمه جمال الدين آقوش الشمسي واخترق صفوف التتار حتى وصل لكتبغا، ودار بينهما قتال فتمكن آقوش من كتبغا وقتله،وبقتله قتلت العزيمة عند جيش التتار، وأصبحوا يقاتلون ليفتحوا لأنفسهم طريقا في المدخل الشمالي لسهل عين جالوت ليتمكنوا من الهرب، واستطاعوا فتح ثغرة في المدخل الشمالي،

وخرجت أعداد كبيرة منهم باتجاه الشمال، وخرج المسلمون في طلبهم، حتى وصل التتار الفارون إلى مدينة بيسان، وعندما وصل إليهم المسلمين، لم يجد التتار أمامهم إلا أن يعيدوا تنظيم صفوفهم ويصطفوا من جديد، ودارت بين الطرفين معركة كبيرة قرب بيسان، وقاتل التتار فيها قتالا شديدا، وبدؤا يضغطون على المسلمين، ودارت الدائرة لهم، عندها كرر قطز ما فعله في عين جالوت وأخذ يصيح بالجند «وإسلاماه... وإسلاماه... وإسلاماه» ثلاثا، وأقبل الجند على القتال وارتفعت راية الإسلام وهوت راية التتار، وبدأ جنود التتار في التساقط، وكانت نتيجة المعركة أن أبيد جيش التتار بأكمله، ولم يبقى على قيد الحياة من الجيش أحد

❖ تحـــــــــرير الشـــــــام :

⮝ تحرير دمشق:

وبعد الانتصار الذي حققه قطز وجيشه في عين جالوت، كان يفكر في أمر الحاميات التتارية في بلاد الشام في دمشق وحمص وحلب وغيرها من مدن الشام، ومع ما أصاب جيش المسلمين من كثرة الشهداء وكثرة الجرحى، وما لقوه من عناء وتعب، قرر سيف الدين قطز السير لدمشق لتحريرها من سيطرة التتار، واستغلال فرصة انكسار جيش التتار وهزيمته الساحقة في سهل عين جالوت،

أراد سيف الدين قطز أن يستثمر انتصاره على جيش المغول في عين جالوت، في تهيئة انتصار جديد للمسلمين في دمشق على جيش التتار المحتمي فيها، فجيش التتار قتل بأكمله في المعركة، ولم ينقل أحد منهم الخبر إلى دمشق، فأراد قطز أن ينقل خبر النصر الكبير على المغول بنفسه، ليضعف من معنويات الحامية التتارية في دمشق، فيسهل عليه فتحها،

وصلت رسالة سيف الدين قطز إلى دمشق في يوم السابع والعشرين أو الثامن والعشرين من شهر رمضان، وبهذه الرسالة علم المسلمون نبأ الانتصار فقاموا بثورة عارمة داخل دمشق، وأمسكوا بجنود التتار وقتلوا عددا منهم وأسروا عددا آخر وفر عدد آخر، وكان السبب الرئيسي لما حدث في دمشق هو انهيار معنويات التتار بعد سماعهم خبر هزيمة كتبغا في عين جالوت، وفي يوم الثلاثين من رمضان وصل سيف الدين قطز وجيش المسلمين دمشق بعد خمسة أيام من معركة عين جالوت، ودخل جيش المسلمين دمشق واستتب الأمن.

⮝ تحرير حمص وحلب:

في أول أيام عيد الفطر أرسل سيف الدين قطز قائده ركن الدين بيبرس بمقدمة جيشه لتتبع الفارين من التتار، وتطهير المدن الشامية الأخرى من الحاميات التتارية، فوصل بيبرس لحمص، واقتحم معسكرات الحامية التتارية وقضى عليهم وهرب من

هرب منهم، وأطلق سراح المسلمين الأسرى الذين كانوا في قبضة التتار، ثم انطلقوا خلف الحاميات التتارية الهاربة، فقتلوا أكثرهم وأسروا الباقين ولم يفلت منهم إلا الشريد، ثم اتجه بيبرس بمقدمة جيشه إلى حلب، ففر منها التتار، واستطاع المسلمون تطهير بلاد الشام بأكملها من التتار في بضعة أسابيع.

ما إن حرر قطز مدن الشام حتى خطِب له على المنابر في كل المدن المصرية الشامية والفلسطينية، أعلن سيف الدين قطز توحيد مصر والشام تحت دولة واحدة بزعامته، وكانت هذه الوحدة هي الوحدة الأولى بين الإقليمين منذ عشر سنوات، وذلك منذ وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبدأ قطز في توزيع الولايات الإسلامية على الأمراء المسلمين، وأرجع بعض الأمراء الأيوبيين إلى مناصبهم، وذلك ليضمن عدم حدوث أي فتنة في بلاد ومدن الشام، فأعطى قطز إمارة حمص للأشرف الأيوبي، وأعطى إمارة حلب لعلاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ، وأعطى إمارة حماة للأمير المنصور، وعين الأمير المملوكي جمال الدين آقوش الشمسي (قاتل القائد المغولي كتبغا) على الساحل الفلسطيني وغزة، أما دمشق فقد عين عليها علم الدين سنجر الحلبي، وفي يوم السادس والعشرين من شهر شوال عام 658 هـ الموافق الرابع من شهر أكتوبر عام 1260م عاد سيف الدين قطز لمصر.

❖ مقـــــــتلــــه:

كانت نهاية سيف الدين قطز بعد معركة عين جالوت بخمسين يوم فقط، وهو في طريق عودته من دمشق إلى القاهرة في منطقة تسمى الصالحية.

لم ينسي مماليك الصالحية مقتل قائدهم أقطاى وأخذوا يذكرون بيبرس بثأر أستاذهم ،وما ملأ قلب بيبرس حقدا على السلطان المظفر هو أن السلطان وعده بإمارة حلب ولكن أراد السلطان قطز أن يعتزل الحكم ويزهد فى الدنيا بعد إستشهاد زوجته ورفيقة دربه، ويولى بدلا منه بيبرس لما علم منه من قوة البأس وشجاعته فى القتال وإطاعة الأمراء المماليك وخوفهم منه ،ولكن ظن بيبرس أن السلطان يريد به شرا فتأمر عليه مع ستة من مماليك الصالحية لقتله وهو فى عودته لمصر

❖ الـــــمراجــــــــــع:

- ❖ قطز، منذر القباني، الدار العربية للعلوم ناشرون (2014)
- ❖ الملك المظفر قطز بن عبد الله المعزي، رحاب عكاوي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر (2004)
- ❖ القائد المظفر قطز، محمد عمر الحاجي، دار غار حراء (2004)
- ❖ قطز أول من هزم التتار، محمد بيومي، مكتبة جزيرة الورد (2013)

8- عثـــمـــان الأول

❖ مـــولده ونســـــبه:

❖ مولـــده:

8 صفر656 هـ 13 فبراير 1258 م ، في مدينة سكود التي اتخذها والده عاصمة لإمارته وهو اليوم ذاته الذي اجتاحت فيه جحافل المغول مدينة بغداد

والده هو أرضغرل الغازى بن سليمان شاه زعيم قبيلة القايى وهى إحدى قبائل الترك التى إعتنقت الإسلام

والدته هي حليمة خاتون وهى بنت السلطان غياث الدين مسعود بن كيكاوس السلجوقي.

❖ نشـــأته :

نشأة فتيان قبائل الترك المرتحلة، فتعلم المصارعة والمبارزة بالسيف في صغره، كما تعلم ركوب الخيل والرمي بالنبال والصيد بالعقبان، فكان أمهر إخوته في هذا المجال. كما تعلم مبادئ الدين الإسلامي، وتقرب من مشايخ الصوفية وتأثر بهم.

❖ زوجـــــاتـــه وأولاده:

- زوجــاته :

مال خاتون ابنة الشيخ إده بالي حوالي سنة 1280م،
رابعة بالا خاتون

- أولاده :

سبعة أبناء وهم علاء الدين باشا أورخان بك، وباظارلي بك، وجوبان بك، وحميد بك، ، ومالك بك، وصاوجي بك، فتاة وحيدة تدعى فاطمة خاتون

❖ صفاته وخصائصه

- بنيته الجسدية:

كان رجلا طويل القامة، وأبيض البشرة، وكستنائي الحاجبين ،أسمر البشرة، وعاقد الحاجبين، ومستدير الوجه، وعريض المنكبين، وتصل يداه إلى ركبتيه عند وقوفه .

- أخـــــلاقــــه:

- **الشجاعة** : كان شجاعا مقداما في الحروب،
- **الجهاد:** محبا للجهاد في سبيل الله، يفتح البلاد لنشر الإسلام وهدف تأسيس دولته كان لنشر الإسلام والدليل على ذلك أنه كان يحارب بلاد الروم وبيزنطة ولم يحارب جيرانه المسلمين
- **العدل والتسامح** : كان يحكم بين رعيته بالعدل ،وبسبب تسامحه وعدله حبب كثير من النصارى في الإسلام فإعتنقه الكثير منهم
- **العلم:** كان مصاحبا وتلميذا لشيخ الصوفية في عصره (إده بالى) وتزوج من إبنته .
- **الشعر:** كان محبا للشعر وقد ترك بعض الأشعار من تأليفه
- **الزهد:** كان زاهدا يقتات من إيرادات أغنام له ،ولم يأخذ أموال من غنائم الفتوحات
- **الجود** : جوادا كريما على الفقراء والمساكين بما ملكت يداه ،
- **التقوى والورع** : تأثر كثيرا بالصوفية فكان كثير الخشية من الله

❖ قيـــام الإمــــارة العثـــمانيّة:

,



خارطة تبين حدود الإمارة العثمانية في بداية عهد السلطان عثمان الأول (بالأحمر الداكن) وعند وفاته (الأحمر الباهت)

خلف عثمان أباه أرضغرل بعد وفاته، وتولى زعامة الإمارة العتيدة وعشيرة قايى وهو في سن الرابعة والعشرين وكان هناك عوامل عديدة مهدت لقيام الإمارة العثمانية ووضع حجر الأساس للدولة العثمانية التى إمتدت لستة قرون :

1. أهمية موقع الإمارة العثمانية:

فمدينة سكود عاصمة الإمارة تقع على مرتفع يسهل الدفاع عنه من جهة، وعلى الطريق الرئيسي الممتد من القسطنطينية إلى قونية من جهة أخرى، وأتاحت مجاورته لأراضي الإمبراطورية البيزنطية توجيه نشاطه نحو الحرب والجهاد، وتبدو أهمية موقع الإمارة العثمانية من ناحية بعدها عن مناطق الغزو المغولي وعن نفوذ الإمارات التركمانية القوية في جنوبي الأناضول وجنوبه الغربي، ووقوعها بالقرب من طريق الحرير الذي يربط المناطق الرومية في الغرب بالمناطق التي يسيطر عليها المغول في الشرق،

2. ضعف الإمبراطورية البيزنطية :
أدى ذلك لتوسع عثمان الأول في أراضيها غربي الأناضول
3. ضعف الدولة السلجوقية :
مكن ذلك عثمان الأول من الإنفصال عن الدولة السلجوقية وتأسيس الدولة العثمانية التى شغلت الفراغ السياسي والعسكرى نتيجة انهيار الإمبراطورية البيزنطية والدولة السلجوقية.
4. مقدرة عثمان السياسية الفذة التى جعلت من دولته تنتقل من مرحلة القبيلة لمرحلة الدولة المنظمة مما جعلها ملاذا للمزارعين الفارين من المغول والمحاربين التركمان الباحثين عن المغامرة والجهاد ،وسياسة التسامح نحو المسيحيين المضطهدين في الإمبراطورية البيزنطية التى شجعتهم للدخول في الإسلام والإنضمام لجيشه
5. قدرته العسكرية العظيمة وحبه للجهاد وترك الدعة والراحة والرفاهية ،أدى ذلك لبناء جيش قوى
6. حلمه بإنشاء دولة قوية تحيي الخلافة الإسلامية التى كانت في نهاية الخلافة العباسية صورية ويتحكم فيها المماليك

العلاقات السياسيّة في بداية عهد عثمان:
حاول عثمان تقوية دولته في بداية حكمه دون الدخول في صراعات مع الدول والإمارات الأقوى منه
1. اكتسب وصف زعيم الجهاد بزواجه من إبنة الشيخ إده بالي زعيم الحركة الصوفية في ذلك الوقت
2. أنشأ علاقات ودية مع قادة الدول الرومية وكان بينهم مصالح مشتركو
3. تجنب الصدام مع المغول والدولة السلجوقية التى كانت خاضعة للمفول
4. وتحالف عثمان مع الأخية الفتيان، وهؤلاء هم الجماعات المنظمة التي كان أعضائها يعملون في حرفة واحدة وقد جعلوا واجبهم حفظ العدل ومنع الظلم وإيقاف الظالم عند حده واتباع الشريعة الإسلاميّة وما تمليه الأخلاق الحميدة وتنفيذ واجبات عسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم وحقوق المسلمين
5. تحالف مع القبائل التركمانية القادمة إلى الأناضول وأغراهم بالإنضمام لجيشه وأجزل عليهم العطايا وعهد الى الشيوخ بتربيتهم تربية اسلامية قائمة على حب الجهاد ونشر الإسلام في بلاد الروم

❖ تمدد الإمـــــــارة العـــثمانيّة:

كان على عثمان، بعد أن ثبّت أقدامه في إمارته، أن يكافح على جبهتين :الجبهة البيزنطيّة، وجبهة الإمارات التركمانيّة التي أبدت مُعارضة له وبخاصّة الإمارة الكرميانيّة، وقد وضع نصب عينيه توسيع رقعة إمارته على حساب البيزنطيين أولا.

- **فتح قلعة قره جه حصار:**

سنة 685 هـ (1286 م) توجه عثمان الأول على رأس قوّة عسكريّة قوامها ثلاثمائة مُقاتل إلى قلعة قولاجه حصار وهجم عليها ليلا وتمكّن من فتحها، أثار انتصار العُثمانيين في قولاجه حصار حفيظة عامل الروم على المدينة، فتحالف مع عامل قلعة «قره جه حصار» واتفقا على قتال المسلمين واسترداد ما غنموه من أراضٍ بيزنطيّة، والتقى الجمعان في «إكزجه» حيث دارت معركة طاحنة قتل فيها «صاووجي بك» أخو عثمان، لكنها أسفرت عن انتصار المسلمين، ودُخولهم قلعة قره جه حصار ومقتل «بيلاطس» قائد القوّات البيزنطيّة. وحول العثمانيون كنيسة تلك البلدة إلى مسجد، قرئت فيه أوّل خِطبة، وأمر بإقامة الخِطبة باسمه، وهو أوّل مظهر من مظاهر السيادة والسُلطة.

- **فتح قلاع (بيله جك) و(يار حصار) و(إينه كول):**

➢ سار عثمان بجُنوده ناحية شمال صقارية، فأغار على قلعتيّ «كوينوك» و«ينيجه طاراقلي»
➢ أرسل أربعين فارسًا من فرسانه إلى حفل داخل قلعة «بيله جك» متنكرين بأزياء النساء، وما أن دخل هؤلاء «بيله جك» حتّى كشفوا عن هويتهم، فتمكنوا من أسر كافة المدعوين بما فيهم العروسين، وفتحوا القلعة علنًا.
➢ سعى عثمان بعد فتحه قلعتيَ (بيله جك) و(يار حصار) إلى القضاء على صاحب (إينه كول) الذي حالف عامل قره جه حصار على العثمانيين سابقا، كي يحول دون إبرام أي تحالفٍ آخر بين بقايا الإمارات البيزنطيّة في الأناضول. فبادر إلى إرسال أحد قادة جيشه، ويُدعى «طورغود ألب» الذى فتحها فولاه عثمان اميرا عليها ليكون أول أمير مسلم على مدينة بيزنطية ولذا سميت بإسمه

- **سُقوط سلطنة سلاجقة الروم واستقلال الإمارة العُثمانيّة:**

أتاح زوال السلطنة السلجوقيّة الروميّة لعثمان بأن يستقل بالأراضي المقتطعة له كافة، ولقب نفسه «عاهل آل عثمان« ووضع نصب عينيه ضم آخر الثغور والقلاع والحُصون البيزنطيّة إلى ديار الإسلام.

و لما مات السلطان علاء الدين السلجوقي في قونية، ولم يكن له ذرية، اجتمع الوزراء والأعيان وقرروا أنه لا يليق للسلطنة سوى عثمان الغازي، فعرضوا عليه هذا الأمر فأجاب طلبهم، وصار سلطانا من هذا التاريخ (سنة 687 هـ1299 م)

والاستقلال الفعلي للإمارة العثمانية لم يحل إلا بعد وفاة الإلخان المغولي أبو سعيد بهادر خان سنة 736هـ الموافقة لسنة 1335م من دون أن يعين خلفا له، ما أدى إلى نشوب صراعات على الحكم في الدولة الإلخانية كان من نتيجتها استقلال إمارات الأناضول استقلالا فعليا

- **معركة بافيــوس:**

بعد أن استتب الأمر لعثمان وضمن استقلاله بشؤون البلاد سواء التي فتحها أو التي ولي عليها، اشتغل في تنظيمها وترتيب أمورها حتى إذا أمن اضطرابها أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور :الإسلام أو الجزية أو الحرب، فأسلم بعضهم وقبل البعض دفع الخراج، وقرر الباقون القتال.

وتحالفت الإمارات الرومية الأناضولية الباقية للقضاء على الدولة الناشئة تحت قيادة الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس الثاني الذى حشد جيوشه لقتال المسلمين بعد أن فشل ولده ميخائيل في دفعهم عن نيقوميدية.

شكل حراك الإمبراطور البيزنطي نذيرا للقرى والبلدات الإسلامية الحدودية، وتذكيرا بأن وجودهم سيبقى على المحك ما لم يتحالفوا ويتحدوا تحت راية قائد قوي قادر على دفع الحملات البيزنطية بعد أن زالت سلطنة سلاجقة الروم. ولما لمس السكان قدرة عثمان القيادية والعسكرية العالية، وإخلاصه للدين الإسلامي، تحركوا لمساندته والوقوف معه لتوطيد دعائم دولة إسلامية تضم شتاتهم وتقف سدا منيعا بوجه البيزنطيين.

والتحق بعثمان بعض القادة الروم الذين فضلوا العمل لصالحه على أن يعودوا لبلادهم، وكان قسما منهم من أسرى الحروب المعتقين. كما انخرطت الكثير من الجماعات الإسلامية تحت لواء العثمانيين كجماعة «غزاة الروم » وهي جماعة إسلامية كانت ترابط على حدود الإمبراطورية البيزنطية وتصد هجماتهم عن المسلمين منذ العصر العباسي، وقد أعطتها هذه المرابطة خبرات في حرب الروم. وسارع رفاق درب عثمان من قادة الأخية الفتيان إلى الإنضمام إليه وعرض خدماتهم عليه، وانضم إليه أيضا جماعة «حجاج أرض الروم» وهي جماعة معنية بالعلم الشرعي وتفقيه المسلمين بأمور الدين، وكان لها هدف جانبي يتمثل بمعاونة المجاهدين خصوصا في القتال.

تقابل الجمعان في سهل بافيوس يوم 1ذو الحجة701 هـ 2 يوليه 1302 م، وكان العثمانيون قد حشدوا جيشا قدر بحوالي 5,000 فارس تحت إمرة عثمان نفسه، فانهزم البيزنطيين هزيمة ساحقة ويمثل هذا النصر العثماني ولادة الدولة العثمانية الفعلية.

- **فتح يني شهر وما حولها**

حول عثمان أنظاره نحو حدود إمارته الجنوبية بعد أن استتب له الأمر شمالا ووصل إلى البحر الأسود وبحر مرمرة وهزم جيوش الإمبراطورية البيزنطية واطمأن إلى عدم قدرتها على مقارعته قريبا. فهاجم البلدات والقرى والحصون الرومية المحيطة بمدينة «يني شهر» تمهيدا لفتح هذه المدينة. فأرسل حملة كبيرة إلى قلعة (يوند حصار) ففتحها وضمها إلى أملاكه، ثم انقض على يني شهر ودخلها منتصرا واتخذها عاصمة له مؤقتا، وعمل على تحصينها وتقوية أسوارها، ثم راح يرسل الحملات ضد المدن البيزنطية، ففتح قلاعا عدة كما فتح جزيرة كالوليمني الواقعة على بحر مرمرة على مقربة من خليج مودانيا، الأمر الذي أدى إلى سيطرة العثمانيين على الطريق المائي الذي يربط بورصة بالقسطنطينية، واستولى على قلعة تريكوكا، الواقعة بين بورصة وازنيق والتي تشرف على طريق المواصلات بين هذه الأخيرة وازميد، فأطل العثمانيون بذلك على البوسفور.

أقلقت الفتوحات العثمانية صاحب بورصة البيزنطي، فجمع قواته وتحالف مع أمراء «أترانوس» و«مادنوس» و«تكه» و«كستل»، وساروا للقاء عثمان، فالتحموا معه في معركة سميت «دينباز» انتصر فيها العثمانيون وتمكنوا من فتح «كستل» و«مادنوس»، وقتل أميريهما في المعركة .

- **فتح بورصة**

- ركز عثمان جهوده بعد ذلك على المدن الكبيرة المعزولة، ورأى أن يبدأ بفتح مدينة بورصة، فبنى بالقرب منها قلعتين تشرفان عليها وتحيطان بها ,استمر الحصار العثماني لبورصة ما بين 10 و11 سنة، ويرجع طول الحصار إلى عدم امتلاك العثمانيين أية أدوات حصار في تلك الفترة من تاريخهم، كما أن المدينة نفسها كانت حصينة ومنيعة، إذ حمتها قلعة يبلغ طولها 3400 متر تحتوي على 14 برج مراقبة و6 أبواب ضخمة، وكان هناك سورين سميكين في المنطقة الواقعة تحت جبل أولوطاغ

واستمر الحصار تحت قيادة ابن عثمان أور خان دون أي قتال أو حرب، لكنه تابع عزلها عن محيطها، ضيق العثمانيون الحصار على المدينة حتى دب اليأس في قلب حاكمها وحاميتها، وأيقن الإمبراطور البيزنطي أن سقوطها في أيدي المسلمين مسألة وقت لا أكثر، فاتخذ قرارا صعبا، وأمر عامله عليها بإخلائها، ففعل، وانسحبت الحامية البيزنطية من المدينة، ودخلها أورخان يوم 2 جمادى الأولى726 هـ 6 أبريل (1326 م)، ولم يتعرض لأهلها بسوء بعد أن أقروا بالسيادة العثمانية وتعهدوا بدفع الجزية .

واستسلم صاحب المدينة المدعو «أقرينوس» إلى أورخان، ثم أشهر إسلامه أمامه وبايع أباه عثمان ودخل في طاعته، فأعطي لقب بك إكراما له وتقديرا لما أبداه من شجاعة وصبر خلال الحصار الطويل، وأصبح من قادة الدولة العثمانية البارزين فيما بعد، وتأثر به عدد آخر من قادة الروم الذين بقوا في المدينة وحصونها المجاورة، فأشهروا إسلامهم وانضموا تحت لواء العثمانيين .وبهذا فتحت بورصة بعد طول انتظار، وأسرع أورخان عائدا إلى سكود لينقل الخبر إلى والده .

❖ وفـــــــــــــــاتـــــــه:

كان عثمان يعاني من داء المفاصل أو النقرس إلى جانب الصرع الذي أصيب به في سنواته الأخيرة. ويرجح أن وفاته جاءت نتيجة للنقرس . وتوفى رحمه الله في 21 رمضان726 هـ الموافق فيه 21آب (أغسطس(1326 م، وله من العمر سبعين سنة.

❖ الـــــمراجـــــــــــــع:

- رمغان، مُصطفى؛ ترجمة: مُصطفى حمزة (1435هـ ـ 2014م). التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية: جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بني عثمان (الطبعة الأولى). بيروت ـ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- سعد الدين أفندي، خواجه محمد (1862 ـ 1863). تاج التواريخ، الجزء الأول (باللغة التركية العثمانية). إستانبول ـ دولت علية عثمانيه: طبعخانۀ عامره.
- أوزتونا، يلماز؛ ترجمة: عدنان محمود سلمان (1431هـ ـ 2010م). موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، المجلد الأول (الطبعة الأولى). بيروت ـ لبنان: الدار العربية للموسوعات.
- فريد بك، محمد؛ تحقيق: الدكتور إحسان حقي (1427هـ ـ 2006م). تاريخ الدولة العلية العثمانية) الطبعة العاشرة). بيروت ـ لبنان: دار النفائس.
- القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد؛ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي (1405هـ ـ 1985م). تاريخ سلاطين آل عثمان (الطبعة الأولى). دمشق ـ سوريا: دار البصائر.

9- محمد الفاتح

❖ مـــــــولده ونشـــــــأته:

- مـــــــولده :

فجر يوم الأحد بتاريخ 20 أبريل، 1429 م، الموافق في 26 رجب سنة 833 هـ في مدينة أدرنة، عاصمة الدولة العثمانية آنذاك.

- نســـــبه:

هو محمد الثاني بن مراد الثاني بن محمد الأول بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازى بن عثمان الأول بن أرضغرل

- **نشـــــأته:**

عندما بلغ محمد الثاني ربيعه الحادي عشر أرسله والده السلطان إلى أماسيا ليكون حاكمًا عليها وليكتسب شيئا من الخبرة اللازمة لحكم الدولة. فمارس محمد الأعمال السلطانية في حياة أبيه، ومنذ تلك الفترة وهو يعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، كما كان على اطلاع تام بالمحاولات العثمانية السابقة لفتح القسطنطينية، بل ويعلم بما سبقها من محاولات متكررة في العصور الإسلامية المختلفة .وخلال الفترة التي قضاها حاكما على أماسيا، كان السلطان مراد الثاني قد أرسل إليه عددا من المعلمين لكنه لم يمتثل لأمرهم، ولم يقرأ شيئا، حتى أنه لم يختم القرآن الكريم، الأمر الذي كان يُعد ذا أهمية كبرى، فطلب السلطان المذكور، رجلا له مهابة وحِدة، فذكر له المولى" أحمد بن إسماعيل الكوراني"، فجعله مُعلما لولده وأعطاه قضيبًا يضربه به إذا خالف أمره، فذهب إليه، ودخل عليه والقضيب بيده، فقال: "أرسلني والدك للتعليم والضرب إذا خالفت أمري"، فضحك السلطان محمد الثاني من ذلك الكلام، فضربه المولى الكوراني في ذلك المجلس ضربا شديدا، حتى خاف منه السلطان محمد، وختم القرآن في مدة يسيرة .
هذه التربية الإسلامية كان لها الأثر الأكبر في تكوين شخصية محمد الفاتح، فجعلته مسلمًا مؤمنًا ملتزمًا بحدود الشريعة، مقيدًا بالأوامر والنواهي، مُعظما لها ومدافعا عن إجراءات تطبيقها، فتأثر بالعلماء الربانيين، وبشكل خاص معلمه المولى" الكوراني "وانتهج منهجهم .وبرز دور الشيخ" آق شمس الدين "في تكوين شخصية محمد الفاتح وبث فيه منذ صغره أمرين هما: مضاعفة حركة الجهاد العثمانية، والإيحاء دومًا لمحمد منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث النبوي، لذلك كان الفاتح يطمع أن ينطبق عليه حديث نبي الإسلام.

❖ <u>زوجــــــــاته وأولاده:</u>

- **زوجـــــاته :**
  - **أمينة كلبهار وهي من الروم الأرثوذكس، وهي والدة السلطان بايزيد الثاني ولي العهد**
  - **السلطانة كيفر ابنة أحد الملوك الروم المتوفاة عام1481 ،**
  - **و حنة خاتون ابنة إمبراطور طرابزون، التي تزوجها السلطان لفترة قصيرة؛**
  - **و"خاتون أليكسياس إحدى الأميرات البيزنطيات.**
- **أولاده :**
  - **بايزيد الثاني ولي العهد**
  - **جم توفي سنة.1495**
  - **داوود باشا**
  - **مصطفى باشا**

❖ <u>توليـــــــــيه العـــرش:</u>

المـــــرة الأولى:

- **13 يوليو سنة 1444 م 26 ربيع الأول سنة 848 هـ : تنازل أبيه عى العرش له وعمره أربع عشرة سنة، وسافر إلى ولاية أيدين للإقامة بعيدا عن هموم الدنيا وغمومها حزنا على وفاة ابنه الأكبر علاء الدين، ولكن عدة أمور جعلت محمد الفاتح يطلب لأبيه العودة وإستلام العرش ومنها:**

1. **غدر المجر وإغارتهم على بلاد البلغار غير مراعين شروط الهدنة مع الدولة العثمانية، عاد السلطان مراد الثاني وقاد الجيش العثماني في معركة فارنا، التي كان فيها النصر الحاسم للمسلمين بتاريخ 10 نوفمبر سنة 1444 م، الموافق في 28 رجب سنة 848 هـ**
2. **استصغر قادة الجيش العثمانيين من الانكشارية السلطان الصغير، إذ عصوا أمره، ونهبوا المدينة، ووصل السلطان فأدب القادة وأشغلهم بالقتال في بلاد اليونان .**
3. **الضغط الذي مارسه عليه الصدر الأعظم" خليل جندرلي باشا"، الذي لم يكن مولعا بحكم محمد الثاني، بما أن الأخير كان متأثرا بمعلمه المولى "الكوراني" ويتخذ منه قدوة، وكان الكوراني على خلاف مع الباشا.**

➤ **المـــــرة الثــــــــــانية :**

توفي أبيه السلطان مراد الثاني في يوم 7 فبراير سنة1451 ، الموافق في 5 محرم سنة855 هـ .وما أن وصلت أنباء وفاة السلطان إلى ابنه محمد الثاني، حتى ركب فورا وعاد إلى أدرنة حيث توج سلطانا للمرة الثانية في 19 فبراير من نفس العام،

❖ فتـــــــــــــح القســـــــطنطينية:

- **الإعداد للفتح:**

1. **تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون جندي، وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الفترة،**
2. **كما عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للغزو الكبير المنتظر،**
3. **كما أعتنى الفاتح بإعدادهم إعدادا معنويا قويا وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء النبي محمد على الجيش الذي يفتح القسطنطينية وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة منقطعة النظير، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير في تقوية عزائمهم .**
4. **إقامة قلعة روملي حصار على شاطئ مضيق البسفور في أضيق نقطة من الجانب الأوروبي منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان بايزيد في البر الآسيوى ، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة، وصل ارتفاعها إلى 82 مترا، وأصبحت القلعتان متقابلتين، ولا يفصل بينهما سوى 660 مترا، تتحكمان في عبور السفن من شرقي البوسفور إلى غربه وتستطيع نيران مدافعهما منع أية سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من المناطق التي تقع شرقها مثل مملكة طرابزون وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة. كما فرض السلطان رسوما على كل سفينة تمر في مجال المدافع العثمانية المنصوبة في القلعة، وكان أن رفضت إحدى سفن البندقية أن تتوقف بعد أن أعطى العثمانيون لها عددا من الإشارات، فتم إغراقها بطلقة مدفعية واحدة فقط .**
5. **اعتنى السلطان عناية خاصة بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية، ومن أهمها المدافع، التي أخذت اهتماما خاصا منه حيث أحضر مهندسا مجريا يدعى "أوربان" كان بارعا في صناعة المدافع، فأحسن استقباله ووفر له جميع الإمكانيات المالية والمادية والبشرية. تمكن هذا المهندس من تصميم وتصنيع العديد من المدافع الضخمة كان على رأسها "المدفع السلطاني" المشهور، والذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، وقد أشرف السلطان بنفسه على صناعة هذه المدافع وتجريبها .**
6. **ويضاف إلى هذا الاستعداد ما بذله الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثماني؛ حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلا للقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية، تلك المدينة البحرية التي لا يكمل حصارها دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة وقد ذكر أن السفن التي أعدت لهذا الأمر بلغت أكثر من أربعمائة سفينة،**
7. **عمل الفاتح قبل هجومه على القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، فعقد معاهدة مع إمارة غلطة المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، كما عقد معاهدات مع جنوة والبندقية وهما من الإمارات الأوروبية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة في الدفاع عن المدينة .**
8. **عمل السلطان على تمهيد الطريق بين أدرنة والقسطنطينية لكي تكون صالحة لجر المدافع العملاقة خلالها إلى القسطنطينية**

في هذه الأثناء التي كان السلطان يعد العدة فيها للفتح، استماتت الإمبراطور البيزنطي في محاولاته لثنيه عن هدفه، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه، وبمحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قراره، ولكن السلطان كان عازما على تنفيذ مخططه ولم تثنه هذه الأمور عن هدفه، ولما رأى الإمبراطور البيزنطي شدة عزيمة السلطان على تنفيذ هدفه عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية وعلى رأسها البابا زعيم المذهب الكاثوليكي، في الوقت الذي كانت فيه كنائس الدولة البيزنطية وعلى رأسها القسطنطينية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية وكان بينهما عداء شديد، وقد اضطر الإمبراطور لمجاملة البابا بأن يتقرب إليه ويظهر له استعداده للعمل على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، في الوقت الذي لم يكن الأرثوذكس يرغبون في ذلك. قام البابا بناءً على ذلك بارسال مندوب منه إلى القسطنطينية، خطب في كنيسة آيا صوفيا ودعا للبابا وأعلن توحيد الكنيستين.

➤ **الهجوم والغزو:**

- تحركت المدافع من أدرنة إلى قرب القسطنطينية، في مدة شهرين حيث تمت حمايتها بقسم الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس 6 أبريل، 1453 م، الموافق 26 ربيع الأول، 857هـ، فجمع الجند وكانوا قرابة مائتين وخمسين ألف جندي أي ربع مليون، فخطب فيهم خطبة قوية حثهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة، وذكرهم فيها بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي تبشر بفتح القسطنطينية وفضل الجيش الفاتح لها وأميره، وما في فتحها من عز للإسلام والمسلمين، وقد بادر الجيش بالتهليل والتكبير والدعاء .
- وبهذا ضرب السلطان الحصار على المدينة بجنوده من ناحية البر، وبأسطوله من ناحية البحر، وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية مدفعية وضع بها المدافع الجسيمة التي صنعها "أوربان" وفي أثناء الحصار اكتشف قبر" أبي أيوب الأنصاري "الذي استشهد حين حاصر القسطنطينية في سنة 52 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي .
- وفي هذا الوقت كان البيزنطيين قد قاموا بسد مداخل ميناء القسطنطينية بسلاسل حديدية غليظة حالت بين السفن العثمانية والوصول إلى القرن الذهبي، بل دمرت كل سفينة حاولت الدنو والاقتراب .إلا أن الأسطول العثماني نجح على الرغم من ذلك في الاستيلاء على جزر الأمراء في بحر مرمرة.
- استنجد الإمبراطور قسطنطين، آخر ملوك الروم، بأوروبا، فلبى طلبه أهالي جنوة وأرسلوا له إمدادات مكونة من خمس سفن وكان يقودها القائد الجنوي "جوستنياني" يرافقه سبعمائة مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة، فأتى هذا القائد بمراكبه وأراد الدخول إلى ميناء القسطنطينية، فاعترضته السفن العثمانية ونشبت بينهما معركة هائلة في يوم 21 أبريل، 1453 م، الموافق يوم 11 ربيع الثاني، 857 هـ، انتهت بفوز جوستنياني ودخوله الميناء بعد أن رفع المحاصرون السلاسل الحديدية ثم أعادوها بعد مرور السفن الأوروبية كما كانت.
- حاولت القوات البحرية العثمانية تخطي السلاسل الضخمة التي تتحكم في مدخل القرن الذهبي والوصول بالسفن الإسلامية إليه، وأطلقوا سهامهم على السفن الأوروبية والبيزنطية ولكنهم فشلوا في تحقيق مرادهم في البداية، فارتفعت بهذا الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة.
- بعد هذا الأمر، أخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برا وبحرا، فخطر بباله فكر غريب، وهو أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعها، وتمَ هذا الأمر المستغرب بأن مهدت الأرض وسويت في ساعات قليلة وأتي بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاق السفن وجرها، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من البيزنطيين.
- استيقظ أهل المدينة صباح يوم 22 أبريل وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي، ولم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين، ولقد عبر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل فقال» :ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلا من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الإسكندر الأكبر
- .أيقن المحاصرون عند هذا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم، لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا إقداما وصمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الممات. وفي يوم 24 مايو سنة1453 م، الموافق 15 جمادى الأولى سنة857 هـ، أرسل السلطان محمد إلى الإمبراطور قسطنطين رسالة دعاه فيها إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه وكل من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاؤون بأمان، وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأي أذى وأعطاهم الخيار بالبقاء في المدينة أو الرحيل عنها، ولما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر، فمال بعضهم إلى التسليم وأصر آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فمال الامبراطور إلى رأي القائلين بالقتال حتى آخر لحظة، فرد الامبراطور رسول الفاتح برسالة قال فيها إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته فإما أن يحفظ عرشه أو يدفن تحت أسوارها، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال : »حسنا عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر.
- عند الساعة الواحدة صباحا من يوم الثلاثاء 29 مايو،1453 م، الموافق 20 جمادى الأولى سنة 857 هـ بدأ الهجوم العام على المدينة، فهجم مائة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف فيمن عارضهم واحتلوا المدينة شيئا فشيئا إلى أن سقطت بأيديهم، بعد 53 يومًا من الحصار .
- توجه محمد الفاتح إلى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف المسيحيون داخلها خوفا عظيما، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فأطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم،

- وقد أمر الفاتح بعد ذلك بأن يؤذن في الكنيسة بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا .وقد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينيين الذين لهم حق الحكم في النظر بالقضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع . وأعطاهم نصف الكنائس الموجودة في المدينة، أما النصف الأخر فجعله جوامع للمسلمين .وبتمام فتح المدينة، نقل السلطان محمد مركز العاصمة إليها، وسُميت "إسلامبول"، أو "مدينة الإسلام."

❖ بعـــــــــــد فتح القسطنطينية :

- **فتح بلاد مــــــوره ومحاربة المجر:**

بعد إتمامه لترتيباته وبناء ما هدم من أسوار القسطنطينية وتحصينها، أمر السلطان ببناء مسجد بالقرب من قبر أبي أيوب الأنصاري، جرت العادة فيما بعد أن يتقلد كل سلطان جديد سيف عثمان الغازي الأول في هذا المسجد،

ثم سافر بجنوده لفتح بلاد جديدة، فقصد بلاد موره، لكن لم ينتظر أميراها "دمتريوس" و"توماس"، أخوا قسطنطين، قدومه، بل أرسلا إليه يُخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها إثنا عشر ألف دوكا. فقبل السلطان ذلك، وغيّر وجهته قاصدا بلاد الصرب، فأتى "هونياد "الشجاع المجري، الملقب "بالفارس الأبيض"، وردّ عن الصرب مقدمة الجيوش العثمانية، إلا أن الصرب لم يرغبوا في مساعدة المجر لهم لاختلاف مذهبهم، حيث كان المجر كاثوليكيين تابعين لبابا روما، والصرب أرثوذكسيين لا يذعنون لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين مطلقا. ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا، وذلك في سنة .1454

وفي السنة التالية أعاد السلطان الكرّة على الصرب من جديد، بجيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع، ومر بجيوشه من جنوب تلك البلاد إلى شمالها بدون أن يلقى أقل معارضة حتى وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر. وكان هونياد المجري دخل المدينة قبل إتمام الحصار عليها ودافع عنها دفاع الأبطال حتى يئس السلطان من فتحها ورفع عنها الحصار سنة .1455 لكن وإن لم يتمكن العثمانيون من فتح عاصمة الصرب إلا أنهم أصابوا هونياد بجراح بليغة توفي بسببها بعد رفع الحصار عن المدينة بنحو عشرين يوما. ولما علم السلطان بموته أرسل الصدر الأعظم" محمود باشا" لإتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة 1458 إلى سنة .1460

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد موره. ففي سنة 1458 فتح السلطان مدينة "كورنته" وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرّد "طوماس باليولوج" أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية. وبمجرد ما رجع السلطان بجيوشه ثار طوماس وحارب الأتراك وأخاه معا، فاستنجد دمتريوس بالسلطان فرجع بجيش عرمرم ولم يعد حتى تمّ فتح إقليم موره سنة 1460 فهرب طوماس إلى إيطاليا، ونفي دمتريوس في إحدى جزر الأرخبيل .وفي ذلك الوقت فتحت جزر تاسوس والبروس وغيرها من جزر بحر الروم .

- **توحيد الأناضول:**

وبعد عودة السلطان من بلاد اليونان أبرم صلحا مع إسكندر بك وترك له إقليما ألبانيا وإيبيروس، ثم حوّل أنظاره إلى آسيا الصغرى ليفتح ما بقي منها، فسار بجيشه دون أن يُعلم أحدا بوجهته في أوائل سنة1461 ، فهاجم أولا ميناء بلدة أماستريس، وكانت مركز تجارة أهالي جنوة النازلين بهذه الأصقاع .ولكون سكانها تجارا يُحافظون على أموالهم ولا يهمهم دين أو جنسية متبوعهم ما دام غير متعرض لأموالهم ولا أرواحهم، فتحوا أبواب المدينة ودخلها العثمانيون بغير حرب. ثم أرسل إلى "اسفنديار" أمير مدينة سينوب يطلب منه تسليم بلده والخضوع له. ولأجل تعزيز هذا الطلب أرسل أحد قواده ومعه عدد عظيم من المراكب لحصار الميناء، فسلمها إليه الأمير وأقطعه السلطان أراض واسعة بأقليم "بيثينيا" مكافأة له على خضوعه. ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون ودخلها دون مقاومة شديدة وقبض على الملك وأولاده وزوجته وأرسلهم إلى القسطنطينية .

- **محاربة أمير الفـــــلاخ :**

ما أن عاد السلطان إلى القسطنطينية حتى جهز جيشا لمحاربة أمير الفلاخ المدعو" فلاد دراكول الثالث المخوزق"، لمعاقبته على ما ارتكبه من الفظائع مع أهالي بلاده والتعدي على التجار العثمانيين النازلين بها. فلما قرب منها، أرسل إليه هذا الأمير وفدا يعرض على السلطان دفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا بشرط أن يُصادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التي أبرمت في سنة 1393 بين أمير الفلاخ آنذاك والسلطان بايزيد الأول، فقبل السلطان محمد الثاني هذا الاقتراح وعاد بجيوشه. ولم يقصد أمير الفلاخ بهذه المعاهدة إلا التمكن من الاتحاد مع ملك المجر "متياس كورفينوس" ومحاربة العثمانيين .فلما علم السلطان باتحادهما أرسل إليه مندوبين يسألانه عن الحقيقة، فقبض عليهما وقتلهما بوضعهما على عمود محدد من الخشب، الذي يُعرف بالخازوق .وأغار بعدها على بلاد بلغاريا التابعة للدولة العثمانية وعاث فيها فسادا، ورجع بخمسة وعشرين ألف أسير، فأرسل إليه السلطان رسلا يدعونه إلى الطاعة

وإخلاء سبيل الأسرى، فلما مثل الرسل أمامه أمرهم برفع عمائمهم لتعظيمه، وعند إبائهم طلبه لمخالفته لعوائدهم، أمر بأن تسمر عمائمهم على رؤوسهم بمسامير من حديد .

فلما وصلت هذه الأخبار إلى السلطان محمد استشاط غضبا وسار على الفور بحوالي 60,000 جندي نظامي و30,000 غير نظامي،فوصل بسرعة إلى مدينة" بوخارست"، عاصمة الأمير، بعد أن هزمه وفرق جيوشه، لكنه لم يتمكن من القبض عليه لمجازاته على ما اقترفه بحق العثمانيين والبلغار، لهروبه والتجائه إلى ملك المجر، فنادى السلطان بعزله ونصب مكانه أخاه "راؤول" لثقته به بما أنه تربى في حضانة السلطان منذ نعومة أظفاره، وبذا ضمت بلاد الفلاخ إلى الدولة العثمانية. ويقال أنه عند وصول السلطان محمد إلى ضواحي بوخارست، وجد حول المدينة غابة من الخوازيق التي علقت عليها جثث الأسرى الذين أتى بهم أمير الفلاخ من بلاد بلغاريا، وقتلهم عن آخرهم بما فيهم الأطفال والنساء، وكذلك الجنود العثمانيين الذين كان قد قبض عليهم إثر مناوشة ليلية، وكان عددهم جميعا عشرين ألفا .

- **فتح البوسنة والعداء مع البندقية:**

في سنة1462 ، حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها "استيفان توماسفيتش" عن دفع الخراج، وأسره بعد معركة هو وولده وأمر بقتلهما، فدانت له جميع بلاد البشناق .وأرسل فرمانا إلى الفرنسيسكان من سكان تلك البلاد يطمئنهم بعدم تعرض أي منهم للاضطهاد بسبب معتقداتهم الدينية،

وفي سنة1464 ، أراد "متياس كورفينوس" ملك المجر استخلاص البوسنة من العثمانيين، فهزم بعد أن قتل معظم جيشه، وكانت عاقبة تدخله أن جعلت البوسنة ولاية كباقي ولايات الدولة، وسلبت ما كان منح لها من الامتيازات، ودخل في جيش الإنكشارية ثلاثون ألفا من شبانها وأسلم أغلب أشراف أهاليها .

هذا وكانت قد ابتدأت حركات العدوان في سنة 1463 بين العثمانيين والبنادقة بسبب هروب أحد الرقيق إلى "كورون" التابعة للبندقية، وامتناعهم عن تسليمه بحجة أنه اعتنق المسيحية دينا. فاتخذ العثمانيون ذلك سببا للاستيلاء على مدينة آرغوس وغيرها. فاستنجد البنادقة بحكومتهم، فأرسلت إليهم عددا من السفن محملة بالجنود، وأنزلتهم إلى بلاد موره، فثار سكانها وقاتلوا الجنود العثمانيين المحافظين على بلادهم وأقاموا ما كان قد تهدم من سور برزخ كورون لمنع وصول المدد من الدولة العثمانية، وحاصروا المدينة نفسها واستخلصوا مدينة آرغوس من الأتراك .لكن لما علموا بقدوم السلطان مع جيش يبلغ عدده ثمانين ألف مقاتل، تركوا البرزخ راجعين على أعقابهم، فدخل العثمانيون بلاد موره بدون معارضة كبيرة واسترجعوا كل ما أخذوه وأرجعوا السكينة إلى البلاد. وفي السنة التالية أعاد البنادقة الكرة على بلاد موره دون فائدة .

ثم بعد هدنة استمرت سنة واحدة، عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجتها أن فتح العثمانيون جزيرة" وتعرف إيبويا وهي مركز مستعمرات البنادقة في جزر الروم، وتم فتحها في سنة1470 .

- **فتح إمارة قرمان ومحاربة المغول:**

بعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا، حول السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى

وبعد ذلك بقليل زحف أوزون حسن سلطان دولة الخروف الأبيض وهو أحد خلفاء تيمورلنك، الذي كان سلطانه ممتدا على كافة البلاد والأقاليم الواقعة بين نهري جيحون والفرات، وفتح مدينة "توقات" عنوة ونهب أهلها .فأخذ السلطان في تجهيز جيش جرار وأرسل لأولاده داوود باشا بكلر بك الأناضول، و مصطفى باشا حاكم القرمان، يأمرهما بالمسير لمحاربة العدو، فسارا بجيوشهما إليه وقابلا جيش أوزون حسن على حدود إقليم الحميد، وهزماه شر هزيمة في معركة بالقرب من مدينة" ارزينجان "سنة .1471 وبعدها، في أواخر صيف عام1473 ، سار إليه السلطان نفسه ومعه مائة ألف جندي وأجهز على ما بقي معه من الجنود بالقرب من مدينة كنجه ولم يعد "أوزون حسن" لمحاربة الدولة العثمانية بعد ذلك، إذ أن هذه المعركة كانت قد قضت على سلطة دولته.

- **فتح جزر اليونان ومدينة أوترانت :**

وفي سنة 1480 فتحت جزر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا، وبعدها سار أمير البحر كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بجنوب إيطاليا، التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها. ويقال أنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما، مقر البابا، ففتحت أوترانت عنوة في يوم 11 أغسطس سنة1480 م، الموافق 4 جمادى الثانية سنة885 هـ .

❖ أعمـــــــالـــــــه:

- **اهتمامه بالمدارس والمعاهد:**

كان السلطان محبا للعلم والعلماء، لذلك اهتم ببناء المدارس والمعاهد في جميع أرجاء دولته، وفاق أجداده في هذا المضمار، وبذل جهودا كبيرة في نشر العلم وإنشاء دور التعليم، وأدخل بعض الإصلاحات في نظام التعليم وأشرف على تهذيب المناهج وتطويرها، وحرص على نشر المدارس والمعاهد في كافة المدن والقرى وأوقف عليها الأوقاف العظيمة.

وقام بتنظيم هذه المدارس وترتيبها على درجات ومراحل، ووضع لها المناهج، وحدد العلوم والمواد التي تدرس في كل مرحلة، ووضع لها نظام الامتحانات الدقيقة للانتقال للمرحلة التي تليها، وكان ربما يحضر امتحانات الطلبة ويزور المدارس ولا يأنف من سماع الدروس التي يلقيها الأساتذة، ولا يبخل بالعطاء للنابغين من الأساتذة والطلبة، وجعل التعليم في كافة مدارس الدولة بالمجان، وكانت المواد التي تدرس في تلك المدارس :التفسير والحديث والفقه والأدب والبلاغة وعلوم اللغة والهندسة، وأنشأ بجانب مسجده الذي بناه بالقسطنطينية ثمان مدارس على كل جانب من جوانب المسجد يتوسطها صحن فسيح، وفيها يقضي الطالب المرحلة الأخيرة من دراسته، وألحقت بهذه المدارس مساكن الطلبة ينامون فيها ويأكلون طعامهم ووضعت لهم منحة مالية شهرية، وأنشأ بجانبها مكتبة خاصة وكان يشترط في الرجل الذي يتولى أمانة هذه المكتبة أن يكون من أهل العلم والتقوى متبحرا في أسماء الكتب والمؤلفين، وكانت مناهج المدارس تتضمن نظام التخصص، فكان للعلوم النقلية والنظرية قسم خاص وللعلوم التطبيقية قسم خاص أيضا.

- **اهتمامه بالعلماء:**

قرب العلماء ورفع قدرهم وشجعهم على العمل والإنتاج وبذل لهم الأموال ووسع لهم في العطايا والمنح والهدايا وكرمهم غاية الإكرام،

كان من مكانة الشيخ" أحمد الكوراني "أنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له، ولا يقبل يده بل يصافحه مصافحة، وكان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه، وكان يقول له: "مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط".

وكذلك بالنسبة للشيخ" آق شمس الدين "الذي درس للسلطان محمد الفاتح العلوم الأساسية في ذلك الزمن وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والعلوم الإسلامية واللغات العربية، والفارسية والتركية وكذلك في مجال العلوم العلمية من الرياضيات والفلك والتاريخ والحرب، وكان الشيخ آق ضمن العلماء الذين أشرفوا على السلطان محمد عندما تولى إمارة" أماسيا "ليتدرب على إدارة الولاية، وأصول الحكم. واستطاع الشيخ آق شمس الدين أن يقنع الأمير الصغير بأنه المقصود بالحديث النبوي: "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش."

وكان الشيخ آق شمس الدين أول من ألقى خطبة الجمعة في مسجد آيا صوفيا .وكان السلطان محمد الفاتح يحب شيخه شمس الدين حبا عظيما، وكانت له مكانة كبيرة في نفسه وقد بين السلطان لمن حوله بعد الفتح: "إنكم ترونني فرحا، فرحي ليس فقط لفتح هذه القلعة إن فرحي يتمثل في وجود شيخ عزيز الجانب، في عهدي، هو مؤدبي الشيخ آق شمس الدين ."وعبر السلطان عن مهابته لشيخه في حديث له مع وزيره "محمود باشا"، حيث قال: "إن احترامي للشيخ آق شمس الدين، احترام غير اختياري. إنني أشعر وأنا بجانبه بالانفعال والرهبة.

- **اهتمامه بالشعراء والأدباء:**

كان شاعرا مجيدا مهتما بالأدب عامة والشعر خاصة، وكان يصاحب الشعراء ويصطفيهم، واستوزر الكثير منهم، وكان في بلاطه ثلاثون شاعرا يتناول كل منهم راتبا شهريا قدره ألف درهم، وكان مع هذا ينكر على الشعراء التبذل والمجون والدعارة ويعاقب من يخرج عن الآداب بالسجن أو يطرده من بلاده. وكان الفاتح يكتب أشعاره باسم "عوني"، ويُعدّ أوّل شاعر سلطاني اتخذ لنفسه اسمًا مستعارًا. وللفاتح ديوان باللغة التركية معظمه في الغزل .

- **اهتمامه بالترجمة:**

أتقن اللغة اليونانية وست لغات أخرى عندما كان بلغ من العمر 21 عاما، أي في السنة التي فتح فيها القسطنطينية، وأمر بنقل كثير من الآثار المكتوبة باليونانية واللاتينية والعربية والفارسية إلى اللغة التركية، ونقل إلى التركية كتاب التصريف في الطب للزهراوي، وعندما وجد كتاب بطليموس في الجغرافيا وخريطة له طلب من العالم الرومي "جورج أميروتزوس" وابنه أن يقوما بترجمته إلى العربية وإعادة رسم الخريطة باللغتين العربية واليونانية وكافأهما على هذا العمل بعطايا واسعة، وقام العلامة القوشجي بتأليف كتاب بالفارسية ونقله للعربية وأهداه للفاتح.

كما كان مهتما باللغة العربية فقد طلب من المدرسين بالمدارس الثماني أن يجمعوا بين الكتب الستة في تدريسهم وبين علم اللغة كالصحاح.. ودعم الفاتح حركة الترجمة والتأليف لنشر المعارف بين رعاياه بالإكثار من نشر المكاتب العامة وأنشأ له في قصره خزانة خاصة احتوت على غرائب الكتب والعلوم، وكان بها اثنا عشر ألف مجلد عندما احترقت.

- **اهتمامه بالعمران والبناء والمستشفيات:**

كان السلطان محمد الفاتح مغرما ببناء المعاهد والقصور والمستشفيات والخانات والحمامات والأسواق الكبيرة والحدائق العامة، وأدخل المياه إلى المدينة بواسطة قناطر خاصة. شجع الوزراء وكبار رجال الدولة والأغنياء والأعيان على تشييد المباني وإنشاء الدكاكين والحمامات وغيرها من المباني التي تعطي المدن بهاء ورونقا، واهتم بالعاصمة إسلامبول اهتماما خاصا، وكان حريصا على أن يجعلها "أجمل عواصم العالم" و"حاضرة العلوم والفنون."

كثر العمران في عهد الفاتح وانتشر، واهتم بدور الشفاء، ووضع لها نظاما مثاليا في غاية الروعة والدقة والجمال، فقد كان يعهد بكل دار من هذه الدور إلى طبيب –ثم زيد إلى اثنين– من حذاق الأطباء من أي جنس كان، يعاونهما كحال وجراح وصيدلي وجماعة من الخدم والبوابين، وكان يشترط في جميع المشتغلين بالمستشفى أن يكونوا من ذوي القناعة والشفقة والإنسانية، ووجب على الأطباء أن يعودوا المرضى مرتين في اليوم، وأن لاتصرف الأدوية للمرضى إلا بعد التدقيق من إعدادها، وكان يشترط في طباخ المستشفى أن يكون عارفا بطهي الأطعمة والأصناف التي توافق المرضى منها، وكان العلاج والأدوية في هذه المستشفيات بالمجان ويغشاها جميع الناس بدون تمييز بين أجناسهم وأديانهم.

ولعل أبرز أثار السلطان العمرانية هو قصر الباب العالي الذي أمر بالبدء ببنائه قرابة عقد الستينات من القرن الخامس عشر، إضافة إلى مسجده الذي حمل اسمه، وآيا صوفيا بطبيعة الحال التي أمر بتحويلها من كنيسة إلى مسجد.

❖ **الاهتمام بالتجارة والصناعة:**

اهتم السلطان محمد الفاتح بالتجارة الصناعة وعمل على إنعاشهما بجميع الوسائل والعوامل والأسباب، وكان العثمانيون على دراية واسعة بالأسواق العالمية، وبالطرق البحرية والبرية وطوروا الطرق القديمة، وأنشأوا الجسور الجديدة مما سهل حركة التجارة في جميع أجزاء الدولة، واضطرت الدول الأجنبية لمسايسة الدولة العثمانية ليمارس رعاياها حرفة التجارة في الموانئ المهمة العديدة في ظل الراية العثمانية. كان من أثر السياسة العامة للدولة في مجال التجارة والصناعة أن عم الرخاء وساد اليسر والرفاهية في جميع أرجاء الدولة، وأصبحت للدولة عملتها الذهبية المتميزة، ولم تهمل الدولة إنشاء دور الصناعة ومصانع الذخيرة والأسلحة، وأقامت القلاع والحصون في المواقع ذات الأهمية العسكرية في البلاد.

❖ **الاهتمام بالتنظيمات الإدارية:**

عمل السلطان محمد الفاتح على تطوير دولته؛ ولذلك قنن قوانين حتى يستطيع أن ينظم شؤون الإدارة المحلية في دولته، وكانت تلك القوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية .وضع السلطان الفاتح أنظمة جديدة سار عليها من جاء بعده، فأطلق على الحكومة العثمانية اسم" الباب العالي "وجعل لها أربعة أركان، هم الصدر الأعظم وقاضي العسكر والدفتردار والنيشانجي .شكل السلطان محمد لجنة من خيار العلماء لتشرف على وضع "قانون نامه" المستمد من الشريعة المذكورة وجعله أساسا لحكم دولته، وكان هذا القانون مكونا من ثلاثة أبواب، يتعلق بمناصب الموظفين وببعض التقاليد وما يجب أن يتخذ من التشريفات والاحتفالات السلطانية وهو يقرر كذلك العقوبات والغرامات، ونص صراحة على جعل الدولة حكومة إسلامية قائمة على تفوق العنصر الإسلامي أيا كان أصله وجنسه، وقد استمرت المبادئ الأساسية لهذا القانون سارية المفعول في الدولة العثمانية حتى عام1839 م، الموافق لعام1255 هـ .

اهتم محمد الفاتح بوضع القوانين التي تنظم علاقة السكان من غير المسلمين بالدولة ومع جيرانهم من المسلمين، ومع الدولة التي تحكمهم وترعاهم، وأشاع العدل بين رعيته، وجد في ملاحقة اللصوص وقطاع الطرق، وأجرى عليهم أحكام الإسلام، فاستتب الأمن وسادت الطمأنينة في ربوع الدولة العثمانية .وعندما كانت الدولة تعلن الجهاد وتدعوا أمراء الولايات وأمراء الألوية، كان عليهم أن يلبوا الدعوة ويشتركوا في الحرب بفرسان يجهزونهم تجهيزا تاما، وذلك حسب نسب مبينة، فكانوا يجهزون فارسا كامل السلاح قادرا على القتال عن كل خمسة آلاف آقجه من إيراد اقطاعه، فإذا كان إيراد إقطاعه خمسمائة ألف آقجة مثلا كان عليه أن يشترك بمائة فارس، وكان جنود الإيالات مؤلفة من مشاة وفرسان، وكان المشاة تحت قيادة وإدارة باشوات الإيالات وبكوات الألوية. قام محمد الفاتح بحركة تطهير واسعة لكل الموظفين القدماء غير الأكفاء وجعل مكانهم الأكفاء، واتخذ الكفاءة وحدها أساسا في اختيار رجاله ومعاونيه وولاته.

❖ **اهتمامه بالجيش والبحرية:**

تميز عصر السلطان محمد الفاتح بجانب قوة الجيش البشرية وتفوقه العددي، بإنشاءات عسكرية عديدة متنوعة، فأقام دور الصناعة العسكرية لسد احتياجات الجيش من الملابس والسروج والدروع ومصانع الذخيرة والأسلحة، وأقام القلاع والحصون في المواقع ذات الأهمية العسكرية، وكانت هناك تشكيلات متنوعة في تمام الدقة وحسن التنظيم من فرسان ومشاة ومدفعية وفرق مساعدة، تمد القوات المحاربة بما تحتاجه من وقود وغذاء وعلف للحيوان وإعداد صناديق الذخيرة حتى ميدان القتال.

كان هناك صنف من الجنود يسمى، "لغمجية" وظيفته الحفر للألغام وحفر الأنفاق تحت الأرض أثناء محاصرة القلعة المراد الاستيلاء عليها وكذلك السقاؤون كان عليهم تزويد الجنود بالماء. تطورت الجامعة العسكرية في زمن الفاتح وأصبحت تخرج الدفعات المتتالية من المهندسين والأطباء والبيطريين وعلماء الطبيعيات والمساحات، وكانت تمد الجيش بالفنيين المختصين. استحق معه أن يعده المؤرخون مؤسس الأسطول البحري العثماني، ولقد استفاد من الدول التي وصلت إلى مستوى رفيع في صناعة الأساطيل مثل الجمهوريات الإيطالية وبخاصة البندقية وجنوة، أقوى الدول البحرية في ذلك الوقت.

❖ اهتمامه بالعدل:

إن إقامة العدل بين الناس كان من واجبات السلاطين العثمانيين، وكان السلطان محمد شأنه في ذلك شأن من سلف من آبائه – شديد الحرص على إجراء العدالة في أجزاء دولته، ولكي يتأكد من هذا الأمر كان يرسل بين الحين والحين إلى بعض رجال الدين من النصارى بالتجوال والتطواف في أنحاء الدولة، ويمنحهم مرسوما مكتوبا يبين مهمتهم وسلطتهم المطلقة في التنقيب والتحري والاستقصاء لكي يطلعوا كيف تساس أمور الدولة وكيف يجري ميزان العدل بين الناس في المحاكم، وقد أعطى هؤلاء المبعوثون الحرية الكاملة في النقد وتسجيل ما يرون ثم يرفعون ذلك كله إلى السلطان.

كانت تقرير هؤلاء المبعوثين المسيحيين تشيد دائما بحسن سير المحاكم وإجراء العدل بالحق والدقة بين الناس بدون محاباة أو تمييز، وكان السلطان الفاتح عند خروجه إلى الغزوات يتوقف في بعض الأقاليم وينصب خيامه ليجلس بنفسه للمظالم ويرفع إليه من شاء من الناس شكواه ومظلمته. اعتنى الفاتح بوجه خاص برجال القضاء الذين يتولون الحكم والفصل في أمور الناس، فلا يكفي في هؤلاء أن يكونوا من المتضلعين في الفقه والشريعة والاتصاف بالنزاهة والاستقامة وحسب بل لا بد إلى جانب ذلك أن يكونوا موضع محبة وتقدير بين الناس، وأن تتكفل الدولة بحوائجهم المادية حتى تسد طرق الإغراء والرشوة، فوسع لهم الفاتح في عيشهم كل التوسعة، وأحاط منصبهم بحالة مهيبة من الحرمة والقداسة والحماية. أما القاضي المرتشي فلم يكن له عند الفاتح من جزاء غير القتل .

كان السلطان الفاتح - برغم اشتغاله بالجهاد والغزوات - إلا أنه كان يتتبع كل ما يجري في أرجاء دولته بيقظة واهتمام، وأعانه على ذلك ما حباه الله من ذكاء قوي وبصيرة نفاذة وذاكرة حافظة وجسم قوي، وكان كثيرا ما ينزل بالليل إلى الطرقات والدروب ليتعرف على أحوال الناس بنفسه ويستمع إلى شكاواتهم بنفسه، كما ساعده على معرفة أحوال الناس جهاز أمن الدولة الذي كان يجمع المعلومات والأخبار التي لها علاقة بالسلطنة وترفع إلى السلطان الذي كان يحرص على دوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها والتماس الإحاطة بجوانب الخلل في أفرادها وجماعاتها .

❖ وفـــــــاتـــــه:

توفى السلطان في يوم 3 مايو عام1481 م، الموافق 4 ربيع الأول سنة886 هـ عن 53 سنة، ومدة حكمه 31 عاما، قضاها في حروب متواصلة للفتح وتقوية الدولة وتعميرها ، وأتم في خلالها مقاصد أجداده، ففتح القسطنطينية وجميع ممالك وأقاليم آسيا الصغرى والصرب والبشناق وألبانيا، ومات رحمه الله شهيدا بعد أن قام طبيبه الخاص (يعقوب باشا) الإيطالى الأصل بإدعائه الإسلام وحظى بثقة السلطان فدس له السم ليموت ببطء،

انتشر الخبر في البندقية ثم إلى باقي أوروبا، وراحت الكنائس في أوروبا تدق أجراسها لمدة ثلاثة أيام بأمر من البابا فرحا بموت الفاتح العظيم

دفن السلطان في المدفن المخصوص الذي أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الأستانة

❖ المـــــــراجـــع:

- كتاب: سيرة السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، د. علي محمد الصلابي.
- كتاب: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، د. سيد رضوان علي.

10-سليمان الأول (القانونى)

❖ نســــبه:

❖ سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغرل

❖ والدته: عائشة حفصة سلطان أو حفصة خاتون سلطان

❖ ولد سليمان في طرابزون الواقعة على سواحل البحر الأسود يوم 6 نوفمبر1494

❖ نشـــــأته:

حينما بلغ السابعة، ذهب ليدرس العلوم والتاريخ والأدب والفقه والتكتيكات العسكرية في مدارس الباب العالي في القسطنطينية .

تولى سليمان الشاب وعمره سبعة عشر سنة منصب والي فيودوسيا ثم ساروخان مانيسا ولفترة قصيرة أدرنة

❖ أسرته:

❖ زوجاته:

1. فلانة هانم
2. ناهد دوران
3. السيدة ألفت
4. السلطانة هويام

❖ أولاده:

أنجب 18 ولد وبنت جميعهم توفوا فى حياته ماعدا ولي العهد السلطان سليم الثانى ،والسلطانة مريم، ومن أشهرهم

- ❖ مصطفى الصادق والسلطانة راضية والأمير أحمد من السلطانة ناهد دوران
- ❖ الأمراء محمد وبيازيد وسليم وجهانكيز وعبدالله والأميرة مريم من السلطانة هويام
- ❖ الأمراء محمود ومراد و عثمان واورهان من باقى زوجاته

❖ وصفه:

، طويل ونحيف، وبشرته حساسة .عنقه طويل قليلا، وجهه رقيق ومعقوف الأنف .شارباه متدليان ولحيته قصيرة ومع ذلك له طلعة لطيفة مع بشرة تميل إلى الشحوب.

❖ شخصيته:

- العدل: كان عادلا من أقواله الحكم ليس بالسيف بل بالعدل
- الجهاد: كان محبا للجهاد ويقود الحملات بنفسه ويقول أحب أن أموت غازيًا في سبيل الله قالها وهو مريضا متجاوز السبعين ،وتوفى وهو في إحدى الغزوات
- الزهد: لم يكن شغوفا بالدنيا ويقول عندما أموت أخرجوا يدي من التابوت لكي يرى الناس أنه حتى السلطان خرج من هذه الدنيا ويده فارغة
- الشدة على العدو : أيُقتل سفير الإسلام وأنا حي ! غدا ستعلم أوروبا عاقبة أمرها" قالها بعد أن قتل ملك المجر السفير الذي أرسله القانوني للملك بعد نقض أوربا لعهودها مع الخلافة العثمانية وبعد مقولته هذه جهز جيشا وهزم الجيوش الأوربية مجتمعة في معركة موهاج،

  قال عنه المؤرخ الألماني هالمر " إن سليمان أخطر على أوروبا من صلاح الدين الأيوبي

خوفه من الله: أوصى بدفن صندوق معه في قبره به فتاوى الشيوخ ، وعندما فتحوه بكوا ومنهم شيخ الإسلام أبو السعود الذى قال "لقد أنقذت نفسك يا سليمان ، فأي سماء تظلنا ... و أي أرضٍ تقلنا إن كنا مخطئين في فتاوينا

- أديبا وشاعرا:

كان يتقن اللغة العربية ويحفظ الكثير من سور القرآن الكريم ويحفظ أشعار المتنبي والبحتري وجرير وأبي فراس وأبي تمام، وكان يكتب الشعر باللغة العربية والتركية والفارسية وهو أكثر من كتب شعرا على بحر الغزل بين الشعراء الكلاسيكيين، وبفارق كبير و يتضمن ديوانه 2779 قصيدة على بحر الغزل . ومن المتفق عليه بين الدارسين أن عظمة شاعريته كانت مساوية لعظمة قيادته العسكرية والإدارية"

- فنانا وخطاطا:

كان فنانا في الخط، ويكتب خط التعليق بشكل جميل. ونسخ القرآن الكريم ثمان مرات بخطه،وكان عليما بالمجوهرات ويصمم المجوهرات بيديه

- رعايته للفنون :

رعى القانوني أرباب العلم والفن بشكل دائم وأمر علاء الدين جلبي بترجمة كتاب كليلة ودمنة أحد أهم آثار الأدب الهندي،. كما أمر شاعرا يدعى ضعيفي بترجمة كتاب "إلباسه لباسا روميا" من الفارسية إلى التركية، وترجم مراد بك أحد مترجمي القصر السلطاني كتاب الفيلسوف والخطيب الرومي شيشرون وقدمه للقانوني.

❖ توليه مقاليد السلطة

تولى السلطان سليمان القانوني بعد موت والده السلطان سليم الأول في 9 شوال926 هـ 22 - سبتمبر1520 م،كعاشر السلاطين العثمانيين ،وكان عمره 25 عام وبدأ في مباشرة أمور الدولة العثمانية، وتوجيه سياستها، وكان يستهل خطاباته بالآية القرآنية ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٣٠﴾ [1]

❖ تدعيم سلطته:

بدأ تدعيم سلطته بقمع حركات التمرد وهي كالتالي:

1- جان بردي الغزالي هذا، قائد مملوكي كان قد تعاون مع الخليفة سليم الأول في حربه ضد المماليك، ثم تحالف مع الصفويين ضد الخلافة العثمانية فتم القضاء على تمرده وقتله

2- أما التمرد الثاني فقام به أحمد باشا الخائن في مصر وكان هذا عام930 هـ ، 1524 م. و ثار أهل الشرع والجنود ضد هذا الوالي المتمرد وقتلوه، وظل اسمه في كتب التاريخ مقرونا باسم الخائن .

3- والتمرد الثالث هو تمرد شيعي علوي قام به بابا ذو النون عام 1526 م في منطقة يوزغاد وانتهت فتنة الشيعة هذه بهزيمة بابا ذو النون وأرسل رأسه إلى إسطنبول.

4- والتمرد الرابع ضد الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني كان تمردا شيعيا علويا أيضا، وكان على رأسه قلندر جلبي في منطقتي قوينه ومرعش وكان عدد أتباعه 30000 شيعي قاموا بقتل المسلمين السنيين في هاتين المنطقتين. توجه بهرام باشا لقمع هذا العصيان فقتله العصاة، ثم نجحت الحيلة معهم إذ أن الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد استمال بعض رجال قلندر جلبى، فقلت قواته وهزم وقتل.

❖ فتـــــوحاته وحـــروبه

كان السلطان سليمان يقود الحملات الهامة بنفسه وقد توغل في عمق أوربا حتى وصل إلى فيينا .وقد قاد القانوني بنفسه ثلاث عشرة حملة عسكرية كبرى وفتح بنفسه 360 حصنا وقلعة.

تعددت ميادين القتال التي تحركت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان فشملت أوروبا وآسيا وأفريقيا،

➤ أوربـــــــا

- استولى على بلغراد سنة927 هـ1521/م
- جزيرة رودس سنة929 هـ : دكت المدفعية العثمانية جدران حصنها المنيع والذي كان يعد أحد أمنع الحصون في العالم في ذلك الحين، ويقال أن القوة البرية العثمانية حفرت ما يقارب 50 سردابا تحت الحصن، وشنوا هجوما على المدينة من تحت الأرض
- حاصر فيينا سنة935 هـ1529/م لكنه لم يفلح في فتحها،
- ضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست، وجعلها ولاية عثمانية: التقى الجيش العثماني بالجيش المجري في منطقة موهاكس وكان عدد جنود الجيش العثماني مئة ألف وعدد جنود الجيش المجري مئتي ألف مدعومين من كل ممالك أوروبا وكان معهم البابا وفرسانهم قد تدرعوا بالحديد .وجرت معركة موهاكس الفاصلة سنة932 هـ 1526 - م التي انتهت بعد ساعتين بانتصار العثمانيين وإبادة جميع الجيش المجري والأوربي المساند له وتسلم السلطان القانوني مفاتيح عاصمة المجر بودا

- **محاربة البرتغاليين: سيطر الأسطول العثمانى على البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندى وفتح عدن والحبشة وموانى عمان والإحساء وقطر بعد معارك مع الأسطول البرتغالي**

- **إفريقيا:**

فتحت أراضي ليبيا والقسم الأعظم من تونس، وإريتريا، وجيبوتي والصومال ،وأصبحت تلك البلاد ضمن نفوذ الدولة العثمانية

- **الصدام مع الدولة الصفوية**

- **بعد تثبيت حدوده في أوروبا اتجه سليمان نحو آسيا حيث قاد حملات كبرى ضد الدولة الصفوية لتندلع بذلك الحرب العثمانية الصفوية (1532–1555) وشملت ثلاث حملات. في سنة 962 هـ- 1555 م أجبر السلطان سليمان الشاه طهماسب على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول وأمن بذلك بغداد وجنوب بلاد الرافدين ومصبات الفرات ودجلة وأخذ أجزاء من الخليج العربي ووعدالشاه أيضا بوقف هجوماته في الأراضي العثمانية .**

❖ رقعة الدولة في عهده:

وصلت الدولة العثمانية في عهده إلى مساحة 15 مليون كم2 بعد أن استلمها من أبيه سليم الأول بمساحة 6.5 مليون كم2 وكانت الدولة العثمانية تضم على عهده في أوروبا :المجر و رومانيا ويوغسلافيا وبلغراد و كرواتيا و سلوفينيا ومناطق أخرى. وفي آسيا: كانت تضم جزيرة رودس مع الجزر الاثنتي عشرة والسعودية وغربي جورجيا والقسم المتبقي من شرقي الأناضول وكانت تحت حمايته كل من اليمن والكويت والبحرين وحضرموت وقطر ومناطق أخرى. وفي إفريقيا: كانت تضم معظم مناطق أريتيريا وجيبوتي والصومال والحبشة و ليبيا وتونس وتشاد وبعض مناطق الصحراء الكبرى.

❖ الجيش في عهده:

قد بلغ الجيش في عهده درجة عالية من القوة بحيث كانت تخشاه جميع الجيوش فقد حاولت إسبانيا احتلال هولندا فطلب ملك هولندا وقتها المساعدة من السلطان سليمان القانوني فأرسل له أربعين بدلة من لباس الجيش الإنكشاري ليلبسها الجنود الهولنديون في المعركة وعندما شاهدها الأسبان ظنوا أن العثمانيين يحاربون بجانب الهولنديين فتوقفت اعتداءاتهم ثلاثين عاما.

ولم تكن قوات المشاة هي الأقوى عالميا فحسب بل كانت المدافع العثمانية في عهده متميزة على جميع المدافع في العالم. وكانت قيادته للجيش العثماني قد أكسبته هيبة بين شعبه وجيشه وطاعتهم له وساعدت قيادته للجيش بعدم حصول أي تمرد أو عصيان من الجيش العثماني أو الإنكشارية عليه .وكان الجيش منظما فلم يكن هناك فرق بين جندي وفارس وقائد إلا في حدود الرتبة والمكانة العسكرية .

لا مجال للتطاول والعدوان على أهل البلدان التي يمرون عليها.. فإذا اشتروا شيئا من أهل بلدة لابد من دفع ثمنه.. وإذا قام أحد الأهالي بخدمة أو مهمة مهما كانت بسيطة لابد من أن يأخذ أجره. وإذا تسبب الجيش أثناء مسيره في عطب، أو أحدث أي خسائر لأحد، فلابد من تعويضه ولابد من إصلاح ذلك العطب.. بل قام الجيش العثماني أثناء تنقلاته بإصلاح وترميم الطرق والجسور التي كانت في حاجة إلى إصلاح وترميم .وكان دائما ما يهتم بتطوير الجيش ففي عام 1557 أمر القانوني بإنشاء مصنع للقنابل النحاسية في القدس.

❖ تطوير البحرية العثمانية:

في عهد سليمان ازدادت قوة البحرية على نحو لم تشهده من قبل بانضمام" خير الدين بربروسا" وكان يقود أسطولا قويا يهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب "قبودان."وقد قام خير الدين بربروس- بفضل المساعدات التي كان يتلقاها من السلطان سليمان القانوني- بضرب السواحل الإسبانية، وإنقاذ آلاف من المسلمين في إسبانيا، فقام في سنة 935 هـ1529 - م بسبع رحلات إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية

وقد وكل السلطان إلى خير الدين بربروس قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط، وحاولت إسبانيا أن تقضي على أسطوله، لكنها تخفق في كل مرة وتتكبد خسائر فادحة، ولعل أقسى هزائمها كانت معركة

بروزة سنة945 هـ1538 - م. عند توليه منصبه، قام خير الدين بربروس بإعادة بناء الأسطول العثماني ليبلغ عدد سفنه مجموع سفن أساطيل الدول المتوسطية مجتمعة. وقد انضم أسطول خير الدين بربروس إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسبورغ، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس950هـ1543 - م بالإضافة إلى جزيرة كورسيكا. واتسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمل البحر الأحمر، حيث استولى العثمانيون على سواكن ومصوع، وأخرج البرتغاليين من مياهالبحر الأحمر، واستولى العثمانيون على سواحل الحبشة؛ مما أدى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية .

معركة بروزة

معركة بروزة هي معركة هائلة تحركت لها أوروبا استجابة لنداء البابا في روما، فتكونت حملة صليبية من أسطول مكون من أكثر من 600 قطعة بحرية. منها 302 سفينة حربية كبيرة تحمل نحو ستين ألف جندي من إسبانيا والنمسا والبندقية، ويقوده قائد بحري من أعظم قادة البحر في أوروبا هو أندريا دوريا من جنوة وسمي هذا الجيش فرسان القديس يوحنا .أما البحرية العثمانية فتكونت من 122سفينة تحمل عشرين ألف جندي . يقودهم خير الدين بربروس .استمرت المعركة خمس ساعات دمرت خلالها 13 سفينة من سفن التحالف الأوربي بالكامل بمن عليها من بحارة وأسر 36 سفينة أخرى و3000 أسير أوربي بينما لم يفقد الجيش العثماني أي سفينة .كما تم عطب أكثر من مئة وعشر سفن أوربية .ضمن هذا النصر السيطرة العثمانية على البحر المتوسط لفترة طويلة .

❖ <u>أعمـــــاله</u>:

➢ سليمان القانوني والبيئة:

في عام 1539 م/898هـ أصدر الخليفة سليمان القانوني أول لائحة قانونية للحفاظ على البيئة في أوربا وفي عهده وجد موظفون مختصون بالحفاظ على نظافة البيئة، رغم أن هذه المواد تبدو من المسلمات في هذا العصر إلا أنها في ذلك الوقت لم تكن كذلك في أي بقعة من العالم .

➢ رفق سليمان القانوني بالحيوان

أمر القانوني بإنشاء بيوت للطيور لحمايتها من البرد وتأمين مأوى لها .كذلك في عام1550 ، أصدر السلطان سليمان القانوني قرارا وأعلن فيه منع زيادة الثقل على الحيوانات أثناء إنشاء جامع السليمانية .كما كانت الأحصنة التي تحمل ثقلا ترتاح في يوم الجمعة، ولا يركب عليها أحد حتى ترتاح جيدا .

➢ التعليم في عهده

كان التعليم مجالا مهما للسلطان .منحت مدارس المساجد والتي تمولها المؤسسة الدينية تعليما مجانيا لأطفال المسلمين وكانت متقدمة على تلك في الدول النصرانية في ذلك الوقت .في العاصمة، زاد سليمان عدد المدارس إلى أربعة عشر تعلم الصغار القراءة والكتابة ومبادئ الإسلام. وأمكن للأطفال الذين رغبوا مواصلة تعليمهم الشروع في واحدة من ثمانية مدارس جامعة، والتي شملت شعبها قواعد اللغة والميتافيزيقيا والفلسفة وعلم الفلك والتنجيم.

منحت المدارس الجامعة العليا تعليما بدرجة جامعات اليوم، وأصبح خريجوها أئمة أو معلمين .شملت المراكز التعليمية في كثير من الأحيان واحدا من المباني العدة المحيطة بباحات المساجد أما المباني الأخرى فكان بها المكتبات وقاعات الطعام والنوافير ومطابخ الحساء والمستشفيات لصالح العامة. وعلى إثر شعور الدولة العثمانية بضرورة التطور في العلوم الرياضية والطبية أقام السلطان أربع مدارس لعلوم الرياضيات ومدرسة للطب ومدرسة دار الحديث،

وفي عام 1557 م تم إنشاء كلية السليمانية وقسّمت الكلية إلى 15 قسما، من بين أقسامها الجامع ومدرسة الطب و مشفى الأمراض العقلية، ومدرسة الحديث والمطبعة ودار الضيافة وضريح معمار سنان .

وأنشا المدارس المجانية لعموم الرعية وطور مراكز التعليم ورفعها إلى مصاف الجامعات

ففي منتصف القرن السادس عشر كان في الأناضول مئات المدارس التي تخرج القضاة .وفي عام 1529 كان يوجد في أدرنة أربع عشرة مدرسة .بعد إنشائه للعديد من المدارس وضع لها نظاما للدراسة والعمل فيها؛ فقد نظم السلطان سليمان التعليم في تلك المدارس في اثنتي عشرة درجة، ولكل درجة اسمها الخاص، وعلى كل طالب أن يحصل على "إجازة " قبل أن ينتقل إلى الدرجة التالية، وعندما يصل إلى الدرجة السادسة "صحن الثمان" فإنه يسمح له أن يعمل

"مساعد مدرس" في الدرجات الأولى، ويعيد مع الطلاب ما كانوا قد أخذوه من أساتذتهم، ويسمى "معيدا". وفي هذه الحالة يتوقف عن كونه "صوفته" أي متشوق للعلم، وإذا أراد أن يصل لمنزلة "المدرس" عليه أن يتابع تعلمه في الدرجات الست الأعلى المتبقية، والحصول على "إجازاتها"، وإذا تمكن من الحصول على هذه التراتبية الأكاديمية، كان عليه أن يبدأ التدريس في المرحلة الدنيا، ثم يرتقي تدريجيا نحو العليا، عبر الدرجات التسع الأولى من أصل الاثنتي عشرة درجة، ولا يصبح مرشحا لمنصب "الملا" أو" القاضي الكبير" إلا بعد الوصول إلى الدرجة التاسعة من التدريس على الأقل .

ونتيجة للاهتمام بالتعليم في عام 1539 كانت تجرى في مدينة عينتاب وهي في المناطق النائية في الأناضول عمليات جراحية في الكلية .كان المتخرج من المدارس العثمانية يتقن العديد من اللغات والمهارات فمن يريد التقدم لوظيفة إمام مسجد عليه أن يكون متقنا للغة العربية والتركية والفارسية واللاتينية كذلك عليه أن يكون فاهما للفقه والسيرة والقرآن وتاريخ الإسلام مجيدا للفروسية والمبارزة بالسيف، مع العلم أن هذه الوظيفة لا تتطلب مهارات واختصاصات كبيرة مثل القاضي والوالي .

أهم العلماء العثمانيين في عهده

- **تقي الدين الشامي ولد في دمشق عام 1526 وتوفي عام 1585:**

وهو عالم ميكانيكي وفيزيائي وهو أول من اخترع ساعة تقيس الوقت بالدقائق .كذلك اخترع أول نموذج لمحرك بخاري

ألف أكثر من 90 كتابا في شتى المواضيع المختلفة، والتي تشمل : علم الفلك، وصناعة الساعات، والهندسة، والرياضيات، والميكانيكا، والبصريات، والمنطق .

- أبو السعود أفندي صاحب التفسير المعروف باسم" إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم."

➢ العمارة في عهده

قام سليمان القانوني بالعديد من أعمال التشييد، ففي عصره بنى مدينة السليمانية بالعراق العجمي على انقاض قرية قديمة .فقد كان القانوني مغرما بالبناء والتشييد، فظهر أثر ذلك في دولته، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى فشيد المعاقل والحصون في رودس وبلغراد وبودا، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتى أنحاء الدولة العثمانية، وبخاصة في دمشق ومكة وبغداد، غير ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة. وفي عهد القانوني عاش معمار سنان وبنى الكثير من الأبنية المعمارية بأمر من سليمان القانوني،

- كذلك اهتم بالعمارة في مدينة القدس فأمر سليمان القانوني بإعادة تجديد وتحصين سور القدس ،كذلك أمر السلطان بتجديد عدد من الأسبلة الموجودة في القدس وبناء عدد جديد من الأسبلة، برك سليمان التي تتسع لما يقارب 2.4 مليون متر مكعب من المياه .وكانت هذه البرك تزود مدينة بيت لحم كذلك مدينة القدس وخاصة المسجد الأقصى بالمياه لعدة قرون .
- تكية خاصكي سلطان بنيت وكانت تقدم الطعام والدعم لخمسة آلاف إلى عشرة آلاف شخص .ومازالت قائمة إلى الآن وتقدم الطعام لعدد من الفقراء وعابري السبيل .
- اهتم السلطان القانوني بالحجاج وتأمين الحماية والماء لقوافل الحجاج كغيره من سلاطين الدولة العثمانية ففي طريق قافلة الحج الشامي أمر ببناء أربع قلاع لحماية الحجاج وأمر بحفر العديد من الآبار .

➢ القانون والإدارة:

كان القانون السائد في الإمبراطورية هو الشريعة الإسلامية وكان تغييرها خارج صلاحيات السلطان .حتى ظهر قانون سليمان الذي غطى مجالات القانون الجنائي وحيازة الأراضي والجبايات جمع فيه جميع الأحكام التي صدرت من قبل السلاطين العثمانيين التسعة الذين سبقوه. وبعد القضاء على الازدواجية والاختيار بين التصريحات المتناقضة، أصدر مدونة قانونية واحدة، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته، وبقي جاريا العمل به قرابة ثلاثمئة سنة أي حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري - القرن التاسع عشر الميلادي،

ولم يطلق الشعب على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين، وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة على الجميع بما فيهم أبنائه

❖ اقتصاد الدولة العثمانية:

❖ بلغت الدولة العثمانية في عهده درجة عالية من التقدم في مختلف المجالات وبالطبع لا يمكن للدولة أن تكون قوية سياسيا وعسكريا وتمتد جيوشها من شرق العالم إلى غربه إلا إذا كان هناك نظام اقتصادي قوي لهذه الدولة .وفي عام1528 بلغ دخل الدولة العثمانية أكثر من 9،6 مليون دوقية ذهبية .وكانت واردات الدولة العثمانية متنوعة بين الضرائب والجمارك والغنائم التي تحصل على خمسها من المعارك أو من الجزية المفروضة على الدول النصرانية.

❖ إرثـــــــه:

عند وفاة سليمان، أصبحت الدولة العثمانية بقوتها العسكرية وخيراتها الاقتصادية وتوسعاتها أقوى دولة في العالم وضعت فتوحات سليمان أهم المدن الإسلامية) مكة والمدينة والقدس والقاهرة ودمشق وبغداد (ومقاطعات البلقان)تصل الآن إلى كرواتيا والنمسا (وأغلب أراضي شمال أفريقيا تحت قبضة العثمانيين. ومنحت التوسعات للعثمانيين مكانة مهمة في موازين القوى مما جعل السفير أوجيه غيزلين بسكيك يحذر من غزو وشيك لأوروبا .لم يظهر إرث سليمان في المجال العسكري وحده بل كان الفرنسي جان دي تيفينوت شاهدا بعد قرن على قوة القاعدة الفلاحية للبلاد ورفاهية الفلاحين ووفرة المواد الغذائية الأساسية والتنظيم في حكومة سليمان بقيت الدولة العثمانية قائمة بعد عدة قرون وذلك بسبب الإصلاحات الحكومية والقضائية التي قام بها والتي عرف بها .ترأس سليمان العصر الذهبي للدولة العثمانية من خلال رعايته الشخصية لقمة إنجازات العثمانيين الثقافية في مجال الهندسة المعمارية والأدب والفن والفقه والفلسفة.

❖ وفـــــاته:

توفي سليمان القانوني أثناء حصار مدينة سيكتوار في 7 سبتمبر 1566 لأسباب طبيعية إلا أن الجنود لم يريدوا أن يخبروا أحدا حتى العودة إلى العاصمة فقاموا بدفن أحشائه في الخيمة التي كان متمركزا بها ليتمكنوا من حفظ جسده حتى العودة إلى العاصمة.ويقول المؤرخ الإنجليزي هارولد : إن يوم موته كان من عيدا من أعياد النصارى

❖ المـــــراجـــع:

- كتاب سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين: فريدون امجان
- كتاب تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي د أحمد فؤاد متولي
- كتاب تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: خليل إينالجيك
- كتاب تاريخ الدولة العثمانية : يلماز أوزتونا
- كتاب الدولة العثمانية المجهولة: أحمد آق كوندوز ، سعيد أوزتورك